

الدَّعْوَةُ إِلَى الْإِسْلَامِ

إسلام جليل
٤٦٥

بقلم

عبد الرزاق نوفل

دار
الشعب

٩٥ شارع قيسريّة، القاهرة
تليفون ٣١٨٩١٠

الدَّعْوَةُ إِلَى الْإِسْلَامِ

بمقتضى
عبد الرزاق نوفل

الشعب

٩٤ شارع قصر العيني بالقاهرة
رقم ١١٠٤١١

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

هذه المجموعة ...

من السلسلة الإسلامية ، إنما تهدف إلى بيان حقائق الإسلام وما تحققه عباداته وتكاليفه للفرد والمجتمع .

وإن كانت هذه المجموعة تتخذ الطابع العلمى فى معالجتها لأُمور الإسلام لأن العلم هو طابع هذا العصر ولغته العالمية ، فإن بساطة أسلوبها يجعلها قادرة على تحقيق الهدف من إخراجها على هذه الصورة المبسطة ألا وهو وضعها بين أيدي أكبر عدد ممن يستطيعون قراءتها فيتمكنوا من استيعابها .

وهذا الكتاب ...

من هذه السلسلة وهو «الدَّعْوَةُ إِلَى الْإِسْلَامِ» إنما يهدف إلى بيان طرق الدعوة الإسلامية وواجب كل فرد من المسلمين نحوها . والله نسأل أن يوفقنا جميعاً للعمل على ما يُعلى كلمة الحق والدين . . وينشر الإسلام بين البشر أجمعين . . إنه مسموع مجيب . . آمين .

هذه الرواق نوفل

فِي سَبِيلِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَعَبُدُوا رَبَّكُمْ
وَأَفْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ » وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ
هُوَ أَجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ
إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ
شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ
وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ
النَّصِيرُ) .

(صدق الله العظيم)

الدين والإنسان

لَمْ يَذْكُرِ التَّارِيخُ أَقْوَامًا بِغَيْرِ دِينٍ . . وَلَمْ تَعْرِفِ الْأَزْمَانُ
عَصْرًا كَانَ بِلَا دِينٍ . . فَأَوَّلُ صَفَحَاتِ التَّارِيخِ الْمَكْتُوبِ
إِنَّمَا تُسَجِّلُ أَنَّهُ كَانَ لِلْإِنْسَانِ دِينٌ يَعْتَنِقُهُ . . وَعِبَادَاتٌ يُبَاشِرُهَا ..
وَعَقَائِدُ يُؤْمِنُ بِهَا . . وَأَنَّ الْإِنْسَانَ الْقَدِيمَ أَيًّا كَانَ الْمَكَانُ الَّذِي
وُجِدَتْ فِيهِ آثَارُهُ . . وَالْعَصْرُ الَّذِي عَاشَ فِيهِ هُوَ أَوْ أَجْدَادُهُ
أَوْ أَخْفَادُهُ . . مَهْمَا اخْتَلَفَتْ حَضَارَاتُهُ وَثَقَافَاتُهُ وَمَهْمَا كَانَتْ
الْأَزْمِنَةُ الَّتِي عَاشَ فِيهَا . . أَوْ الْمَنْطِقَةُ الَّتِي كَانَ بِهَا . . وَمَهْمَا
تَبَايَنَ مَا خَلَفَهُ مِنْ أَفْكَارٍ . . وَتَبَاعَدَتْ مُسْتَوِيَاتُ إِنْتَاجِهِ
الذَّهْنِيِّ . . فَإِنَّ الدِّينَ . . كَانَ دَائِمًا أَوَّلَ مَا يَهْتَمُّ بِهِ . .
وَيَحْرِصُ عَلَيْهِ . . وَكَانَتْ صُورُ عِنَايَتِهِ بِدِينِهِ إِنَّمَا تَتَجَلَّى فِي
تَمَسُّكِهِ بِهِ .. وَتَسْجِيلِهِ لِشِعَائِرِهِ .. وَاهْتِمَامِهِ بِدَعْوَةِ غَيْرِهِ إِلَيْهِ ..

وَإِذَا كَانَتْ الرُّسُومُ الْهِيروغليفِيَّةُ الَّتِي وَجِدَتْ فِي أَوْرَاقِ
الْبَرْدَى أَوْ الَّتِي صُوِّرَتْ عَلَى جُدُرِ الْمَقَابِرِ الْمُخْتَلِفَةِ تُعْتَبَرُ أَوَّلَ
مُحَاوَلَاتٍ لِلْكِتَابَةِ فِي التَّارِيخِ . . فَتَكُونُ أَوَّلَ صَفْحَةٍ مِنْهُ ،
بَلْ أَوَّلَ أَلْفَاظِ التَّارِيخِ الْمَكْتُوبِ هِيَ كَلِمَاتُ الدِّينِ . . .
فَقَدْ وَجِدَتْ عَلَى أَوْرَاقِ الْبَرْدَى رُسُومٌ هِيروغليفِيَّةٌ تَدْعُو النَّاسَ

إِلَى التَّمَسُّكِ بِاللَّيْنِ وَتُبَشِّرُهُمْ بِالْآخِرَةِ وَتُحَذِّرُهُمْ مِنَ الْعِقَابِ . .
وَأَعْتَقَدَ الْمَصْرِيُّونَ الْقَدَمَاءُ عَنْ طَرِيقِ كَهَنَتِهِمْ وَهُمْ رِجَالُ الدِّينِ
الدِّينِ لَهُمْ بِذَلِكَ الْقَدَاسَةُ الْكَامِلَةُ وَالطَّاعَةُ النَّامَةُ أَنَّ الْعَالَمَ فِي
الْأَصْلِ كَانَ فُضَاءً أَرْزِيًّا لَا حَرَكَةَ فِيهِ إِلَى أَنْ ظَهَرَ فِي هَذِهِ
الْكُنْتَلَةِ إِلَهُ الشَّمْسِ فَخَلَقَ الْحَيَاةَ وَأَنَّ إِلَهُ الشَّمْسِ كَانَ يُطْلَقُ
عَلَيْهِ (الْمَوْجُودُ بِذَاتِهِ) . فَكَانَ هَؤُلَاءِ الْقَدَمَاءُ آمَنُوا بِوُجُودِ
إِلَهُ خَلَقَ الْحَيَاةَ وَالْأَحْيَاءَ ، وَلَآنَ الشَّمْسُ كَانَتْ تُمَثِّلُ فِي
نَظَرِهِمُ الْقُوَّةَ وَالْحَيَاةَ وَالْبَقَاءَ ، فَإِنَّ اللَّهَ لِأَنَّهُ أَكْبَرُ وَأَعْظَمُ مِنْ
ذَلِكَ فَقَدْ أَطْلَقُوا عَلَيْهِ إِلَهُ الشَّمْسِ . . وَلِأَنَّهُ هُوَ الْخَالِقُ وَغَيْرُهُ
مَخْلُوقٌ فَهُوَ الْمَوْجُودُ بِذَاتِهِ . . وَأَعْتَقَدَ الْمَصْرِيُّونَ كَذَلِكَ أَنَّ
إِلَهُ الشَّمْسِ عِنْدَمَا ظَهَرَ إِنَّمَا كَانَ يَقِفُ عَلَى حَجَرٍ هَرَمِيَّ الشَّكْلِ . .
وَمَا ذَلِكَ إِلَّا اعْتِمَادًا مِنْهُمْ بِأَنَّ اللَّهَ فَوْقَ كُلِّ شَيْءٍ . فَكَمَا أَنَّ
قِمَّةَ الْهَرَمِ هِيَ أَعْلَى مَكَانٍ فِيهِ وَأَنَّ مَنْ عَلَيْهِهَا يَرَى كُلَّ قَاعَتِهِ . .
فَكَذَلِكَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَوْقَ قِمَّةِ الْوُجُودِ لِيَرَى كُلَّ الْوُجُودِ . .
وَلِذَلِكَ كَانَ الشَّكْلُ الْهَرَمِيُّ رَمْزًا مُقَدَّسًا عِنْدَ الْمَصْرِيِّينَ . .
فَبَنَوْا مَقَابِرَهُمْ عَلَى شَكْلِ الْهَرَمِ . . كَمَا أَنَّ كُلَّ الْمَسَلَاتِ الَّتِي
وُجِدَتْ عِبَارَةً عَنْ قَاعِدَةٍ هِيَ كُلُّ الْجُزْءِ مِنَ الْمَسَلَةِ فِيمَا عَدَا

الْجُزْءَ الْهَرَمِيِّ الشَّكْلَ الَّذِي فِي أَعْلَاهَا . . وَهُوَ الْجُزْءُ الْمُقَدَّسُ مِنْهَا وَالَّذِي تُقَامُ الْمَسَلَّةُ مِنْ أَجْلِهِ لِتَرْفَعَهُ عَالِيًا .

وَلَمَّا كَانَتْ مِثْلُ هَذِهِ الْعَقَائِدِ لَا يُمَكِّنُ أَنْ تَكُونَ قَدْ نَشَأَتْ فِي أَوْقَاتِ تَسْجِيلِهَا فَقَطْ . . وَإِنَّمَا لَا بُدَّ أَنَّهَا انْحَدَرَتْ إِلَى هَؤُلَاءِ مِنْ غَيْرِهِمْ مِمَّنْ سَهَقُوهُمْ . . فَإِنَّ الدِّينَ كَانَ مَوْجُودًا حَتْمًا قَبْلَ هَذَا التَّارِيخِ . . وَلَيْسَ هَذَا هُوَ الدَّلِيلُ الْوَحِيدُ عَلَى ذَلِكَ .. إِذْ أَنَّ مَقَابِرَ الْإِنْسَانِ الَّتِي وُجِدَتْ وَتَرْجِعُ إِلَى مَا قَبْلَ التَّارِيخِ كَانَ بِهَا كُلُّ مَا يَلْزَمُ لِلْمَيِّتِ فِي حَيَاتِهِ الْآخَرَى .. أَيْ أَنَّهِمْ كَانُوا يَحْتَقِدُونَ بِالْبَعْثِ وَالْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ .. وَهَذَا الْإِيمَانُ مِنْهُمْ هُوَ إِيمَانٌ بِأُمُورٍ غَيْبِيَّةٍ لَمْ تَصِلْ إِلَيْهِمْ عَنْ طَرِيقِ تَجَرِبَةٍ وَاقِعِيَّةٍ أَوْ عَاشَ فِيهَا مَنْ عَادَ لِيَسْبِغَهُمْ بِهَا .. وَلَكِنَّهَا يَقِينًا وَصَلَتْهُمْ عَنْ طَرِيقِ الدِّعَاةِ الَّذِينَ كَانُوا يُبَشِّرُونَ بِالْدِّينِ الَّذِي يَدْعُو إِلَى الْإِيمَانِ بِالْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَبِالْحِسَابِ وَالْعِقَابِ وَالثَّوَابِ ، فَالْإِنْسَانُ قَبْلَ التَّارِيخِ كَانَ يَعْتَقِدُ الدِّينَ . . وَإِذَا تَوَخَّلْنَا فِي زَمَانٍ مَا قَبْلَ التَّارِيخِ حَتَّى نَصِلَ إِلَى الْإِنْسَانِ فِي أَرْبَعَةِ الْأَوَّلَى ، فَإِنْ كَانَتْ الْأَرْبَعَةُ أَرْبَعَةَ حَضَارَةٍ زَاهِيَةٍ وَثَقَافَةٍ وَاعِيَةٍ فَلَا بُدَّ أَنَّ الدِّينَ كَانَ أَساسًا فِي مُعْتَقَدَاتِهِمْ إِذْ رَأَيْنَا أَنَّ الْإِنْسَانَ فِي عُهُودِ الْحَضَارَةِ

فِي قَجَرِ التَّارِيخِ كَانَ يَهْتَمُّ بِالدِّينِ وَيُؤْمِنُ بِهِ . . وَإِنْ كَانَتْ
الْأَزْمِنَةُ أَزْمِنَةً جَهَالَةً وَبِدَاعَةً ، فَلَا بُدَّ أَنَّ الدِّينَ كَانَ أَوَّلَ
مَا يُحَافِظُونَ عَلَيْهِ وَيَتَمَسَّكُونَ بِهِ . . إِذْ يُؤَكِّدُ ذَلِكَ مَا نَرَاهُ
فِي الْقَبَائِلِ الْمُتَأَخَّرَةِ . . فَالْإِنْسَانُ الَّذِي لَمْ تَعْرِفِ الثَّقَافَةَ
طَرِيقَتَهَا إِلَيْهِ . . وَلَا الْحَضَارَةُ اتَّصَلَتْ بِهِ . . نَجْدُهُ يَخْضَعُ
لِطُقُوسٍ يَقُومُ بِهَا . . وَعَقَائِدَ يُؤْمِنُ بِهَا وَكُلُّهَا إِنَّمَا تَبْدَأُ بِالدِّينِ
أَوْ تَنْتَهِي إِلَيْهِ أَوْ تُشِيرُ نَاحِيَتَهُ . . وَهَؤُلَاءِ إِنَّمَا يُمَثِّلُونَ أَى حِقَبَةٍ
مِنْ تَارِيخِ الْإِنْسَانِ اتَّسَمَتْ بِالْجَهَالَةِ وَكَانَتْ عَلَى حَالَةِ الْبِدَاعَةِ .

وَتَقْتَرِبُ بِذَلِكَ دَرَجَاتُ السَّلْسُلِ لِتَصِلَ إِلَى الْإِنْسَانِ الْأَوَّلِ
الَّذِي عَنْ طَرِيقِ هَذِهِ الْأَدِلَّةِ وَالْبَرَاهِينِ لَا بُدَّ أَنْ يَكُونَ مُعْتَنِقًا
لِلدِّينِ . . مُؤْمِنًا بِهِ . . دَاعِيًا إِلَيْهِ . . وَهَذَا الدِّينُ قَدْ خَالَطَ
قَلْبَهُ . . وَخَامَرَ عَقْلَهُ . . وَامْتَلَأَتْ بِهِ نَفْسُهُ وَأَنَّ الدِّينَ قَدْ
أَوْحَى بِهِ فِي دَاخِلِهِ . . يَقِينًا . . إِذْ نَجِدُ أَنْ نَسْلَ هَذَا الْإِنْسَانِ
الْأَوَّلِ . . تَوْجِدُ النَّزْعَةَ الدِّينِيَّةَ فِي نَفْسِهِ طَبِيعِيَّةً وَأَنَّ الدِّينَ
فِطْرِيٌّ فِيهِ . . فَالطُّفْلُ يُقْسِمُ بِرَبِّهِ . . أَوْ يَسْتَنْجِدُ بِاسْمِهِ . .
أَوْ يُنَادِي عَلَيْهِ . . دُونَ أَنْ يَتَدَخَّلَ فِي ذَلِكَ مَنْ عَلَّمَهُ . . أَوْ
يُحَاكِي فِي ذَلِكَ مَنْ رَأَاهُ . . وَلِهَذَا السَّبَبُ نَجِدُ أَنَّ عُلَمَاءَ

الْفَلَسَفَةِ وَأَسَانِيدَ التَّرْبِيَةِ قَدْ وَضَعُوا التَّصَصُّصَ الْعَدِيَّةَ الَّتِي
تَحْوِي الْإِيمَانَ الْفِطْرِيَّ . . كَقِصَّةِ حَيِّ بْنِ يَقْظَانَ . . الَّتِي
كَتَبَهَا الْفِيلَسُوفُ الْكَبِيرُ أَبُو بَكْرٍ مُحَمَّدُ بْنُ طُفَيْلٍ مُنْذُ نِسْمَتِهِ
قُرُونٌ وَأَسْمَاها أَسْرَارُ الْفَلَسَفَةِ الْإِسْرَاقِيَّةِ وَتُرْجِمَتْ حِينَئِذٍ إِلَى
اللَّاتِينِيَّةِ فِي وَقْتٍ لَمْ يَكُنْ يُتَرْجَمُ فِيهِ إِلَى هَذِهِ اللُّغَةِ إِلَّا الْمَرَاجِعُ
الْعِلْمِيَّةُ الْكَبِيرَةُ . . وَهِيَ تَحْكِي قِصَّةَ طُفْلٍ وَجِدَ بِلَا أَبٍ أَوْ
أُمٍّ فِي جَزِيرَةٍ نَائِيَةٍ فَتَبَنَّنَتْهُ غَزَالَةٌ فَأَرْضَعَتْهُ حَتَّى شَبَّ عَنْ طَوْقِهِ
وَهَاتَتْ الْغَزَالَةُ وَأَصْبَحَ وَحِيدًا فِي الْجَزِيرَةِ . . فَرَأَى بِنَفْسِهِ أَنَّ
بَجْوِيعَ الْأَشْيَاءِ الَّتِي حَوْلَهُ خَاضِعَةٌ لِقَانُونِ الْكُونِ وَالْفَسَادِ ،
أَيُّ الْوُجُودِ وَالْفَنَاءِ . . وَأَنَّ الْعَالَمَ الْمَنْظُورَ كُلَّهُ حَادِثٌ . .
فَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ مُخْلِثٍ . . وَاهْتَدَى بِنَفْسِهِ ، أَيُّ بِفِطْرَتِهِ . . أَيُّ
بِمَا أُوحِيَ إِلَيْهِ مِنْ خَارِجِهِ إِلَى فِكْرَةِ الْخَالِقِ . . وَلِتَشَابُهِ كُلِّ
الْمَوْجُودَاتِ فِي أَصُولِهَا وَفِي تَكْوِينِهَا . . فَلَا بُدَّ أَنَّهَا صَاجِرَةٌ
عَنْ فَاعِلٍ وَاحِدٍ . . فَسَأَلَ بِإِلَهِهِ وَاحِدٍ . . وَلِأَنَّ الْمَوْجُودَاتِ
حَوْلَهُ كُلَّهَا تَنْطَلِقُ بِالْعَظَمَةِ وَالْجَمَالِ ، فَالْخَالِقُ إِذَنْ عَظِيمٌ . .
وَحَكِيمٌ . . وَلِأَنَّ كُلَّ شَيْءٍ يَسِيرُ عَلَيْهِ الْعَدَمُ وَالْفَنَاءُ . . وَيُخْلَقُ
غَيْرُهُ . . فَإِذَنْ كُلُّ شَيْءٍ عِنْدَ الْخَالِقِ فَهُوَ إِلَى عَدَمٍ . . فَامَنَّ

بِاللَّهِ الْوَاحِدِ الْخَالِقِ الْأَبَدِيِّ الْكَرِيمِ الْعَظِيمِ . هَذَا الْإِنْسَانُ أَطْلَقَ عَلَيْهِ كَاتِبُ الْقِصَّةِ « حَيَّ بْنَ يَقْظَانَ » . . . وَمِنْ عَجَبٍ أَنْ حَضَرَ إِلَى الْجَزِيرَةِ رَجُلٌ مُتَعَبِدٌ . . . لِيَأْخُذَهُ حَيًّا مَعَهُ إِلَى الْمَدِينَةِ إِذْ أَنَّ فِي الْمَدِينَةِ مَنْ يُنَاقِشُ وَيُعَارِضُ ... بَيْنَمَا هُوَ الَّذِي عَاشَ عَلَى الْفِطْرَةِ وَبِالْفِطْرَةِ ... قَدْ اطمَنَّ وَاهْتَدَى ... فَالِدَيْنِ إِذْ نُفِطِرُ فِي النَّفْسِ .. قَدْ أَوْدَعَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِيهَا مُنْذُ خَلَقَ النَّفْسَ الْأُولَى لِلْإِنْسَانِ الْأَوَّلِ . . . وَتَحَدَّثْنَا كَافَّةً الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ عَنْ آدَمَ أَوَّلِ إِنْسَانٍ خُلِقَ . . . وَتَقَرَّرُ أَنَّهُ تَلَقَّى مِنْ رَبِّهِ . . . أُسُسَ الدِّينِ ...

وَالدِّينُ أَسَاسًا هُوَ الْقَانُونُ السَّمَاوِيُّ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلْبَشَرِ جَمِيعًا . . . وَكَمَا أَنَّ كُلَّ قَانُونٍ إِنَّمَا يُحَدِّدُ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ الْمُتَعَامِلِينَ ، فَكَذَلِكَ الدِّينُ . . . إِنَّمَا يُوَيِّدُ الدِّينَ عَلَى الْقَانُونِ . . . أَيْ قَانُونِ . . . بِأَنَّهُ يُحَدِّدُ الْعِلَاقَةَ بَيْنَ النَّاسِ جَمِيعًا بَعْضِهِمْ وَبَعْضٍ وَبَيْنَهُمْ وَبَيْنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى . . . وَكَمَا أَنَّ كُلَّ قَانُونٍ إِنَّمَا تَنْصُ مَوَادَّهُ الْأُولَى عَلَى الْحَقَائِقِ الَّتِي تُبْنَى عَلَيْهَا الْعِلَاقَاتُ بَيْنَ النَّاسِ . . . كَذَلِكَ الدِّينُ نَجِدُ أَنَّ مَوَادَّهُ الْأُولَى قَدْ قَرَّرَتْ حَقَائِقَ غَيْبِيَّةٍ لَا يَعْرِفُهَا الْإِنْسَانُ إِلَّا عَنْ طَرِيقِهِ

وَأُورِدَتْ الْحَقِيقَةُ الْأُولَى فِي الْوُجُودِ وَهِيَ وُجُودُ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتُهُ
وَأَسْتَمِرَّارُ الْحَيَاةِ بَعْدَ الْمَوْتِ وَالْعِقَابُ وَالْحِسَابُ فِي الْحَيَاةِ
الْآخِرَى . . . وَالِدَعْوَةُ الْعَامَّةُ الشَّامِلَةُ لِعَمَلِ الْخَيْرِ . . . وَالنَّهْيُ
عَنْ عَمَلِ الشَّرِّ . . . لِذَلِكَ نَجِدُ أَنَّ جَوْهَرَ الدِّينِ وَاحِدٌ فِي كَافَّةِ
الْأَدْيَانِ السَّمَاوِيَّةِ . . . وَحَتَّى تِلْكَ الْأَدْيَانِ السَّمَاوِيَّةِ الَّتِي لَا يَعْرِفُ
الْبَشَرُ عَنْ أَصُولِهَا شَيْئًا حَالِيًا يَسُومَى مَا تُرِكَ مِنْهَا مِنْ مَظَاهِيرَ
وَصُورَ نَجِدُ أَنَّهَا تَحْوِي أَوْ تُشِيرُ إِلَى الْحَقَائِقِ الْأَسَاسِيَّةِ الَّتِي
نَزَلَتْ بِهَا كَافَّةُ الْأَدْيَانِ الَّتِي أَعْقَبَتْهَا . . .

فَقَبِي وُجُودُ اللَّهِ وَوَحْدَانِيَّتُهُ نَجِدُ رُسُومًا هِيرُوغَلِيفِيَّةً فِي
أُورَاقِ بَرْدَى قَدِيمَةٍ عَنْ مُعْتَقَدَاتِ لِلْمُصْرِينَ قَبْلَ عَصْرِ الْمُلُوكِ
جَاءَ فِيهَا مَا نَصَّهُ (اللَّهُ وَحْدَهُ لَا ثَانِي لَهُ يُودِعُ الْأَرْوَاحَ فِي
الْأَشْبَاحِ . أَنْتَ الْخَالِقُ . تَخْلُقُ وَلَا تُخْلَقُ . خَالِقُ السَّمَاوَاتِ
وَالْأَرْضِ) . . . وَنَجِدُ فِي النَّسَخِ الْمُتَدَاوِلَةِ مِنَ التَّوْرَةِ فِي
سِفْرِ التَّنْثِيَةِ فِي الإِصْحَاحِ السَّادِسِ النَّصُّ (الرَّبُّ إِلَهُنَا رَبُّ
وَاحِدٌ) وَفِي نَسَخِ الْأَنْجِيلِ الْمُتَدَاوِلَةِ فِي إِنْجِيلِ مَتَّى فِي الإِصْحَاحِ
التَّاسِعِ عَشَرَ نَجِدُ النَّصَّ (لَيْسَ أَحَدٌ صَالِحًا إِلَّا وَاحِدٌ هُوَ اللَّهُ)
وَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ نَجِدُ التَّوْحِيدَ فِي مُعْظَمِ سُورِهِ الشَّرِيفَةِ ،

وَتَنفِرُ بِهِ سُورَةٌ كَامِلَةٌ هِيَ سُورَةُ الْإِخْلَاصِ وَنَصَّهَا : (قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ * اللَّهُ الصَّمَدُ * لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ * وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ) .

وَفِي الدَّعْوَةِ إِلَى عَمَلِ الْخَيْرِ وَاجْتِنَابِ الشَّرِّ نَجِدُهَا فِي مُثُونِ الْأَهْرَامِ عِنْدَ قُدَمَاءِ الْمَصْرِيِّينَ عِنْدَ تَصْوِيرِ دُخُولِ الْمَتَوَقَّى قَاعَةِ الصُّدُقِ حَيْثُ يَقُولُ مَا نَصَّه (السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا الْإِلَهُ الْعَظِيمُ رَبُّ الصُّدُقِ لَقَدْ أَتَيْتُ إِلَيْكَ يَا إِلَهِي .. وَلَقَدْ جِئْتُ بِبِي إِلَى هُنَا حَتَّى أَرَى جَمَالَكَ . . إِنِّي فِي مَكَانِ الصُّدُقِ هَذَا لَمْ آتْ ذَنْبًا ، لَمْ أَقْتَرِفْ آيَةً خَطِيئَةً . وَلَمْ أَرْتَكِبْ أَى شَيْءٍ خَبِيثٍ وَإِنِّي لَمْ أَفْعَلْ مَا يَمَقُّتُهُ الْإِلَهُ وَإِنِّي لَمْ أُبْلِغْ صَدَّ خَادِمٍ شَرًّا إِلَى سَيِّدِهِ . وَإِنِّي لَمْ أَتْرُكْ أَحَدًا يَتَضَوَّرُ جُوعًا . وَإِنِّي لَمْ أَتَسَبَّبْ فِي إِبْكَاءِ أَى إِنْسَانٍ . وَإِنِّي لَمْ أَرْتَكِبِ الْقَتْلَ وَلَمْ أَمُرْ بِهِ . وَإِنِّي لَمْ أُسَبِّبْ تَعَسًّا لِأَى إِنْسَانٍ . وَإِنِّي لَمْ أَنْقُصْ طَعَامًا فِي الْمَعَادِ وَإِنِّي لَمْ أَنْقُصْ قُرْبَانَ الْآلِهَةِ . وَإِنِّي لَمْ أَغْتَصِبْ طَعَامًا مِنْ قُرْبَانِ الْمَوْتَى ، وَإِنِّي لَمْ أَرْتَكِبِ الزَّنا . وَإِنِّي لَمْ أَرْتَكِبْ خَطِيئَةً تُدْنِسُ نَفْسِي فِي دَاخِلِ حُدُودِ بَلَدَةِ الْآلِهَةِ الطَّاهِرَةِ وَإِنِّي لَمْ أَخْسِرْ مَكِيلَ الْحُبُوبِ ، وَإِنِّي لَمْ أَنْقُصِ الْمُقْيَاسَ .

وَإِنِّي لَم أَنْقُصْ مِكْيَالَ الْأَرْضِ وَإِنِّي لَم أَثْقُلْ وَزْنَ الْمِيزَانِ ،
وَإِنِّي لَم أَحَوِّلْ لِسَانَ كَفَّتِي الْمَوَازِينَ وَإِنِّي لَم أَغْتَصِبْ لَبَنًا
مِنْ فَمِ طِفْلٍ ، وَإِنِّي لَم أَطْرُدَ الْمَاشِيَةَ مِنْ مَرَاعِيهَا ، وَإِنِّي لَم
أَنْصَبِ الشُّبَاكَ لِطُيُورِ الْأَلْهَةِ .

وَفِي الْأَنْصَارِ الْمُتَدَاوِلَةِ مِنَ التَّوْرَةِ نَجْدٌ فِي التَّشْيِيعِ (لَا نَظْلُمُ
أَجِيرًا مُسْكِينًا وَفَقِيرًا مِنْ إِخْوَتِكَ أَوْ مِنَ الْغُرَبَاءِ الَّذِينَ فِي أَرْضِكَ
فِي أَبْوَابِكَ . فِي يَوْمِهِ تَعْطِيهِ أَجْرَتَهُ وَلَا تَغْرُبُ عَلَيْهَا الشَّمْسُ
لَأَنَّهُ فَاقِيرٌ وَإِلَيْهَا حَامِلُ نَفْسِهِ لَمَّا لَا يَصْرُخُ عَلَيْكَ إِلَى الرَّبِّ ،
فَتَكُونُ عَلَيْكَ خَطِيئَةً . لَا يُقْتَلُ الْآبَاءُ عَنِ الْأَوْلَادِ وَلَا يُقْتَلُ
الْأَوْلَادُ عَنِ الْآبَاءِ . كُلُّ إِنْسَانٍ بِخَطِيئَتِهِ يُقْتَلُ) .

وَفِي الْأَنَاجِيلِ الْمُتَدَاوِلَةِ نَجْدٌ فِي إِنْجِيلِ مَتَّى : (وَلَكِنْ
إِنْ أَرَدْتَ أَنْ تَدْخُلَ الْحَيَاةَ فَاحْفَظِ الْوَصَايَا . قَالَ لَهُ آيَةُ
الْوَصَايَا . فَمَتَى يَسُوعُ لَا تَقْتُلْ ، لَا تَزْنِ ، لَا تَسْرِقْ ، لَا تَشْهَدْ
بِالزُّورِ ، أَكْرِمِ أَبَاكَ وَأُمَّكَ وَأَحِبَّ قَرِيبَكَ كَتَفْسِكَ) .

وَفِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ نَجْدٌ هَذِهِ الدَّعْوَةُ فِي مُخْتَلَفِ سُورَةِ
الشَّرِيفَةِ مِثْلَ قَوْلِهِ تَعَالَى (وَقَضَى رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ
وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا

فَلَا تَقُلْ لَهُمَا أَفٌ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا . وَاخْفَضْ
لَهُمَا جَنَاحَ الذَّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي
صَغِيرًا) . (وَآتِ ذَا الْقُرْبَى حَقَّهُ وَالْمَسْكِينِ وَابْنَ السَّبِيلِ
وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا) . (وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةً إِمَّا يَلْقَىٰ نَحْسٌ
نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا . وَلَا تَقْرَبُوا
الزَّنا إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا . وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي
حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوْلِيهِ سُلْطَانًا
فَلَا يُسْرِفُ فِي الْقَتْلِ إِنَّهُ كَانَ مَنْصُورًا . وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ
إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ
كَانَ مَسْئُولًا . وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كَلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ
ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا . وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا) .

وَالَّذِينَ ضُرُّوهُ لِلْإِنْسَانِ . . وَأَسَاسُ لِقِيَامِ الْمُجْتَمَعِ
الْإِنْسَانِيِّ . . فَإِذَا تَرَكَّتِ النَّفْسُ الْإِنْسَانِيَّةُ لِسَجِيئَتِهَا دُونَ وَازِعِ
أَوْ رَادِعٍ لَّا تَرْتَكِبَتْ كُلَّ مَا يُفْسِدُهَا . . فَهِيَ تَوَاقَّةٌ لِّكُلِّ مَا يُؤْذِيهَا . .
وَأَمَّا رَّةٌ بِكُلِّ مَا يُسِيءُ إِلَيْهَا . . وَكَذَلِكَ فَإِنَّ الدِّينَ وَقَايَةُ لِلنَّفْسِ
مِنْ كُلِّ مَا يُفْسِدُهَا . . وَعِلَاجُ لَهَا مِنْ كُلِّ مَا قَدْ يَكُونُ أَصَابِهَا . .

وَأَنَّ كُلَّ مَا أَمَرَ بِهِ الدِّينُ إِنَّمَا يُحَقِّقُ صَالِحًا لِلْإِنْسَانِ فِي دُنْيَاهُ .
وَيَكْتُبُ لَهُ فَوْزًا فِي آخِرَاهُ . . . وَكُلَّ مَا نَهَى عَنْهُ إِنَّمَا لِيُدْفَعَ بِهِ
أَذَى أَكِيدًا عَنْهُ فِي حَيَاتِهِ . . . وَيُسَبِّبُ لَهُ نَعِيمًا مُقِيمًا بَعْدَ مَمَاتِهِ . .
وَالْإِنْسَانُ اجْتِمَاعِي بِخُلُقِهِ وَلَا بُدَّ أَنْ يَعِيشَ مَعَ غَيْرِهِ بِطَبِيعَتِهِ . .
فَالطُّفُلُ حَتَّى قَبْلَ وِلَادَتِهِ . . بَلٍ فِي أَوَّلِ لَحْظَاتِ تَكْوِينِهِ إِنَّمَا
يَعِيشُ فِي رَحِمِ أُمِّهِ . . وَتَتَرْتَّبُ لَهُ مِنَ الْحُقُوقِ مَا يَجْعَلُهَا
بِهَا تُحَافِظُ عَلَيْهِ . . وَتُدَافِعُ عَنْهُ . . ثُمَّ يُوَلَّدُ لِيشْتَرِكَ الْآبُ
وَالْأُمُّ مَعًا فِي وَاجِبَاتٍ عَلَيْهِمَا لَهُ . . مِنْهَا الْمَأْكُلُ وَالْمَلْبَسُ
وَالرَّعَايَةُ بِكَافَّةٍ صَوْرَهَا . . وَالتَّعْلِيمُ . . وَتَبْدَأُ هَذِهِ الْحُقُوقُ
مُنْذُ الرِّضَاعَةِ . . وَمِنَ الْحُقُوقِ مَا لَا يَنْتَهِي إِلَّا بِالْمَوْتِ . .
فَلَوْ أَنَّ الدِّينَ لَمْ يَتَدَخَّلْ فَيَحْمِيَ الطُّفَلَ مِنْ جَهَالَةِ أَبِيهِ . .
أَلَا يَجُوزُ أَنْ يَقْتُلَهُ ؟ . . بَلْ كَثِيرًا مَا حَدَثَ ذَلِكَ فِي عُصُورِ
حَيَمِ الْجَهْلِ عَلَى بَعْضِ أَفْرَادِهَا فَابْتَعَدُوا عَنِ الدِّينِ . . وَاعْتَنَقُوا
بَدَلًا مِنْهُ خِرَافَاتٍ . . صَوَّرَتْهَا لَهُمْ عَقُولُهُمُ التَّافِهَةُ وَعَبَدُوا
لِلذَلِكَ تَمَاثِيلَ صَنَعَتْهَا أَيْدِيهِمْ - وَتَبًّا لِأَيْدِيهِمْ - فَهِيَ يَقِينًا
غَيْرُ طَاهِرَةٍ . . فَمَا يُرْجِعُ الْآبُ عَنْ قَتْلِ ابْنِهِ وَمَا يَدْفَعُهُ لِلْإِنْفَاقِ
عَلَيْهِ غَيْرُ الدِّينِ . . وَيَكْبُرُ الْإِبْنُ . . وَيَسْتَوِي عُودُهُ . . فِي

الْوَقْتُ الَّذِي يَسْبِيخُ فِيهِ وَاللَّيْلَةُ . . فَيَسْبُدُّ الْإِنْسَانُ مِنْ مَالِهِ لِأَبْوَيْهِ . .
وَيَسْهَرُ اللَّيَالِيَ عَلَيْهِمَا . . وَكَلَّمَا اسْتَدَّ الْعُمُرُ بِهِمَا . . عَادَا إِلَى
الطَّفُولَةِ الدُّهُنِيَّةِ . . وَانْتَقَصَتْ قُوَاهُمَا الْعَقْلِيَّةِ . . فَهَلْ غَيْرُ
الَّذِينَ يَدْفَعُهُ لِمُوَاصَلَةِ الْإِحْسَانِ لَهُمَا . . وَالْحَدَبِ عَلَيْهِمَا . .
وَتَحْمَلِ الْأَذَى مِنْهُمَا ؟ . . وَالْإِنْسَانُ فِي كُلِّ حَالَاتِهِ . . إِنَّمَا
يُعَامِلُ غَيْرَهُ . . بَائِعًا أَوْ مُشْتَرِيًا . . قَارِضًا . . أَوْ مُقْتَرِضًا . .
مُقِيمًا أَوْ مُرْتَجِلًا . . بَلْ فِي كُلِّ لَحَظَاتِ حَيَاتِهِ نَجْدُهُ مُتَعَامِلًا
وَلَا شَكَّ مَعَ غَيْرِهِ . . وَكَمْ تَدْفَعُهُ نَفْسُهُ إِلَى أَنْ يَأْخُذَ أَكْثَرَ مِنْ
حَقِّهِ . . وَكَمْ يَرْجُو لَوْ اسْتَطَاعَ أَنْ يُعْطَى أَقْلٌ مِنْ حَقِّ غَيْرِهِ . .
تُرَى هَلِ الْقَانُونُ الْوَضْعِيُّ هُوَ الَّذِي يَمْنَعُهُ ؟ . . كَمْ مِنْ مَرَاتٍ
يَنْفَرِدُ فِيهَا الْإِنْسَانُ بِغَيْرِ حَقِّهِ . . بَعِيدًا عَنِ الْقَانُونِ . . وَأَبْعَدَ
مِنْ سِتْنَاوَلِيهِ . . فَيَجِدُ أَنَّهُ لَا يَمْنَعُهُ غَيْرُ الدِّينِ . . وَقَدْ يَكْرَهُ
الْإِنْسَانُ غَيْرَهُ . . وَقَدْ يَزِيدُ الْكُرْهَ إِلَى الْحَقْدِ . . وَقَدْ تَتَوَلَّدُ
فِي نَفْسِهِ الرَّغْبَةُ فِي التَّخَلُّصِ مِنْهُ . . فَيَجِدُ عُدَّتَهُ . . وَيَكْمُنُ
لَهُ فِي مَكَانٍ لَا تَرَاهُ عَيْنُ إِنْسَانٍ . . وَهُنَا يَمْنَعُهُ عَنْ ذَلِكَ إِيمَانُهُ
بِأَنَّ اللَّهَ يَرَاهُ فَهُوَ الرَّقِيبُ الَّذِي لَا يَنَامُ . . وَمَا عَرِفَ ذَلِكَ
إِلَّا عَنْ طَرِيقِ الدِّينِ . . فَالَّذِينَ إِذَنْ يَحْمِي الْإِنْسَانُ مِنْ شَرِّ

نَفْسِهِ وَمِنْ شَرِّ غَيْرِهِ لَهُ . . وَمَا الْمُجْتَمَعُ الْإِنْسَانِيُّ إِلَّا مَجْمُوعَةٌ
النَّاسِ الَّذِينَ يَعْيشُونَ مَعَ بَعْضٍ وَلَا بُدَّ مِنْ دَوَامِ تَعَامُلِهِمْ
بَعْضُهُمْ مَعَ بَعْضٍ . . فَالَّذِينَ ضَرُورِيُّ الْإِنْسَانِ . . أَسَاسِي لِقِيَامِ
الْمُجْتَمَعِ الْإِنْسَانِيِّ . . لِأَنَّهُ الْقَانُونُ الْعَامُّ الَّذِي يَرْبِطُ الْإِنْسَانَ
بِرَبِّهِ عَنْ طَرِيقِ الْإِيمَانِ بِهِ وَالْقِيَامِ بِمَا فَرَضَهُ عَلَيْهِ . . وَيَرْبِطُهُ
بِغَيْرِهِ مِنَ النَّاسِ الَّذِينَ يَتَعَامَلُونَ مَعَهُ . . أَوْ يَعْيشُونَ بِصُحْبَتِهِ
وَحَتَّى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ لَا يَجْمَعُهُمْ بِهِ إِلَّا الْبُنُوَّةُ لِأَدَمَ وَهُمْ كَافَّةُ
الْبَشَرِ . .

تتباع الأديان

لَمَّا كَانَ الدِّينُ ضَرُورِيًّا لِكُلِّ إِنْسَانٍ . وَأَسَاسِيًّا لِقِيَامِ
 أَى مُجْتَمَعٍ . . فَقَدْ بَدَأَ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا بِبِدَايَةِ الْإِنْسَانِ فِيهَا .
 وَكَانَ لَا بُدَّ حَتْمًا أَنْ تَتَّبَعَ الْأَدْيَانُ . . إِذْ بَعْدَ أَنْ كَانَ يَعْيشُ
 عَلَى الْأَرْضِ فَرْدَانِ هُمَا الْإِنْسَانُ الْأَوَّلُ وَزَوْجَتُهُ . . قَنَاسَلَا .
 وَتَزَايَدَ عَدْدُهُمَا . . وَتَشَعَّبَتِ الرَّغَبَاتُ . . وَافْتَضَلَتْ حَاجَاتُ
 الْإِنْسَانِ الْمُخْتَلِفَةُ وَحَالَاتُهُ الْمُتَغَيِّرَةُ هَذَا التَّتَابُعَ فِي الْأَدْيَانِ .

فَهَذَا آدَمُ وَحَوَاءُ . . عَصِيَا رَبَّهُمَا وَهُمَا فِي الْجَنَّةِ . . بَنَانُ
 أَكَلَا مِنْ شَجَرَةٍ نَهَاهُمَا اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْهَا . . فَتَغَيَّرَتْ
 بِذَلِكَ حَالَتُهُمَا وَأَصْبَحَا فِي حَالَةٍ نَجَعَلُهُمَا لَا يَصْلَحَانِ لِمُسْكِنِي
 الْجَنَّةِ فَنَزَلَا إِلَى الْأَرْضِ . . وَكَانَا مُؤْمِنَيْنِ بِاللَّهِ الْوَاحِدِ . .
 وَلَا يُشْرِكَانِ بِهِ شَيْئًا . . وَلَكِنَّهُمَا وَقَدْ نَزَلَا إِلَى الْأَرْضِ أَصْبَحَا
 فِي حَاجَةٍ إِلَى أَنْ يَعْرِفَا طَرِيقَ عِبَادَةِ اللَّهِ وَهُمَا فِي الْأَرْضِ . .
 إِذْ أَنْ أَمْرَهُمَا أَصْبَحَ مُخْتَلَفًا عَمَّا كَانَا عَلَيْهِ . . فَتَلَقَّى آدَمُ مِنْ
 رَبِّهِ أَوَّلَ دِينٍ نَزَلَ إِلَى الْأَرْضِ . . لِيَعْرِفَ بِهِ كَيْفَ يَسْتَغْفِرُ

وَيَنْدُمُ وَيَتُوبُ عَنِ الذَّنْبِ الَّتِي ارْتَكَبَهُ . . ثُمَّ شَرَعَ لَهُ الطَّوْفَ
 حَوْلَ الْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي بَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ مَعَ آدَمَ . . اسْتَمْرَارًا
 مِنْهُ لِعِبَادَةِ اللَّهِ جَلَّ شَأْنُهُ . . وَتَشَبُّهًا بِالْمَلَائِكَةِ الَّذِينَ يَطُوفُونَ
 وَيَسْبُحُونَ، وَيَعْبُدُونَ . . وَتَمَازُلًا مَعَ كُلِّ وَحْدَاتِ الوجودِ الَّتِي
 تَطُوفُ وَتَسْبُحُ حَوْلَ قُوَى مَوْجُودَةٍ قَبْلَ أَيْ شَيْءٍ وَيَعَدُّ كُلَّ
 شَيْءٍ . . قَبْلَ مَكُونَاتِ الدُّرَةِ إِذْ تَطُوفُ هَلِيقَةً حَوْلَهَا . . وَبَعْدَ
 مَجْمُوعَاتِ النُّجُومِ وَالْأَفْلاكِ الَّتِي تَطُوفُ فِي الوجودِ . إِذْ أَنَّهَا
 تَحْفَظُ عِلْمَهَا وَسَارَهَا وَاتِّجَادَهَا . . ثُمَّ أَنْجَبَتْ حَوَاءَ لآدَمَ
 الذَّكَورَ وَالْإِنَاثَ عِبَادَةً مَرَّاتٍ . . فَهَلْ يَأْتُرَى يَتَزَوَّجُ الْوَلَدُ نَوَامَهُ
 الْبِنْتَ كَمَا رَغِبَ فِي ذَلِكَ أَسَدُ أَوْلَادِهِ . . أَمْ لَا يَنْجُوزُ ذَلِكَ ؟ ..
 فَأَوْحَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لآدَمَ أَنْ يُزَوِّجَ وَلَدَ بِنْتِوَامِ أَخِيهِ
 الْأُنثَى . . وَهَكَذَا أَوْحَى اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لآدَمَ مِنَ الدِّينِ
 مَا هُوَ فِي حَاجَةٍ إِلَيْهِ لِيَعِيشَ فِي الْأَرْضِ مَعَ زَوْجَتِهِ وَأَوْلَادِهِ .
 وَمَاتَ آدَمُ وَحَوَاءُ . . وَانْتَشَرَ فِي الْأَرْضِ نَسْلُهُمَا . .
 وَتَتَابَعَتِ الْأَرْمَانُ . فَنَشَأَتْ أَجْيَالٌ بِهَا أَفْرَادٌ حَجَبَتِ الْمَادِيَّةُ

عَنْهُمْ حَقَائِقَ الدِّينِ .. فَمِنْهُمْ مَنْ ضَلَّ الطَّرِيقَ إِلَى مَعْرِفَةِ
 اللَّهِ . . وَمِنْهُمْ مَنْ صَوَّرَ لَهُ خَيَالَهُ أَنَّ مَا يُرِيدُهُ هُوَ الدِّينُ . .
 وَحَتَّى لَا يَنْفَرِدُوا بَيْنَ النَّاسِ بِرَأْيِهِمْ فَإِنَّهُمْ عَمَدُوا إِلَى نَشْرِ
 وَإِدَاعَةِ عَقَائِدِهِمْ وَإِنْ كَانَتْ فَاسِدَةً . . وَلَكِنَّ رَحْمَةَ اللَّهِ بِالْإِنْسَانِ
 فِي كُلِّ أَجْيَالِهِ وَأَزْمَانِهِ تَأْبَى أَنْ يُتْرَكَ الْإِنْسَانُ وَحِيدًا بِلَا عِيَاةٍ ..
 ضَالًّا بِلَا هِدَايَةٍ . . وَحَتَّى لَا يَتَعَلَّلَ الْإِنْسَانُ عِنْدَ الْحِسَابِ
 بِأَنَّهُ لَمْ يُبَلِّغْ بِرِسَالَةٍ . . وَلَمْ تَصِلْ إِلَيْهِ أَى دِيَانَةٍ . . فَإِنَّ
 اللَّهَ جَلَّ شَأْنُهُ أَرْسَلَ الرُّسُلَ وَالْأَنْبِيَاءَ عَلَى فتراتٍ مِنَ الزَّمَنِ . .
 وَلِأَقْوَامٍ مِنَ النَّاسِ . . كُلَّمَا وَضَعْتَ حَاجَةَ الْقَوْمِ إِلَى رِسَالَةٍ
 وَكُلَّمَا احتَاجَ أَمْرُ الزَّمَنِ إِلَى دِيَانَةٍ . .

وَلَمْ يَعْرِفِ التَّارِيخُ عَدَدَ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ الَّذِينَ أَرْسَلَهُمُ
 اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِهِدَايَةِ الْبَشَرِ . . وَلَكِنَّهُمْ لَا شَكَّ يَبْلُغُونَ
 عَدَدًا كَبِيرًا . . وَقَدْ قِيلَ إِنَّهُمْ أَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا . . وَقِيلَ
 عَشْرَةُ آلَافٍ . . وَتَرَدَّدَتْ أَرْقَامٌ بَيْنَ هَذَا وَذَلِكَ ، وَلَكِنَّ الْأَمْرَ
 الَّذِي لَا خِلَافَ فِيهِ أَنَّهُمْ كَثْرَةٌ تَدُلُّ عَلَى مَدَى رَحْمَةِ اللَّهِ بِالْإِنْسَانِ .

وَلَمْ تَذْكُرِ الْكُتُبَ السَّمَاوِيَّةَ غَيْرَ بَعْضِ هَؤُلَاءِ الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ . .
 فَمِمَّنْ ذَكَرُوا فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بَعْدَ سَيِّدِنَا آدَمَ . . نُوْحُ
 وَإِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَيُوسُفَ وَيُونُسَ وَسُلَيْمَانَ
 وَدَاوُدَ وَصَالِحَ وَلُوطَ . وَهُودَ وَشُعَيْبَ وَآلِيَّاسَ وَيُوسُفَ وَإِدْرِيسَ
 وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَى . وَكَانَتْ دَعْوَتُهُمْ جَمِيعًا وَاحِدَةً . . عِبَادَةَ اللَّهِ
 وَتَوْحِيدُهُ . . وَفِي ذَلِكَ تَقُولُ آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ :

(وَإِلَى عَادَ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ) .

(وَإِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ)

(وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ)

(وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ) .

وَتَزَايَدَ عَدَدُ سُكَّانِ الْعَالَمِ وَانْتَشَرَ الْعِبَادُ فِي مُخْتَلَفِ أَرْجَاءِ
 الْأَرْضِ . . وَتَشَابَهَتْ مَصَالِحُ النَّاسِ وَظَهَرَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
 مَنْ يَدْعِي الرُّبُوبِيَّةَ مِنْ دُونِ اللَّهِ . . وَصَلَّ الْقَوْمُ ضَلَالًا بَعِيدًا . .
 فَاتَّخَذُوا آلِهَةً عَلَى هَوَاهُمْ . . فَأَرْسَلَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى رُسُلَهُ
 وَنَبِيَّهُ سَيِّدَنَا مُومَى عَلَيْهِ السَّلَامُ بِشَرِيعَةٍ فِيهَا التَّوْحِيدُ وَالْهُدَى

وَذَلِكَ بِنُصِّ الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا أَنْ
أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَذَكِّرْهُمْ بِآيَاتِ اللَّهِ إِنَّ فِي
ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ) .

وَجَاهَدَ سَيِّدُنَا مُوسَى مَعَ بَنِي إِسْرَائِيلَ جِهَادًا شَاقًّا . .
فَكُلَّمَا دَعَاهُمْ إِلَى تَوْحِيدِ اللَّهِ وَعِبَادَتِهِ . . سَأَلُوهُ وَمَنْ رَبُّ
الْعَالَمِينَ . . فَإِذَا قَالَ لَهُمْ إِنَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ . .
الَّذِي خَلَقَكُمْ وَخَلَقَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ . . قَالُوا إِذَنْ أَرِنَا اللَّهَ
جَهْرَةً . . وَحَتَّى بَعْدَ أَنْ آمَنُوا وَآمَنُوا . . بِمَا أَرَاهُمْ سَيِّدُنَا
مُوسَى مِنْ مُعْجَزَاتٍ مَادِيَّةٍ . . وَتَرْكَهُمْ لِمُتَمَرَّةٍ يَتَلَقَّى فِيهَا الْوَحْيَ
مِنَ اللَّهِ مُبَيِّنًا وَتَعَالَى فِي أَهْلِ الْجَبَلِ . . عَادَ لِيَعْبُدَهُمْ قَدْ
صَنَعُوا بَأْيُوتِهِمْ نُمُوشًا لِيَجْعَلَ لِيَعْبُدُوهُ .

وَأَنْتَهَى زَمَنُ سَيِّدُنَا مُوسَى . . وَمَا هِيَ إِلَّا بُرْهَةٌ حَتَّى حَرَفَ
الْقَوْمَ كِتَابَ اللَّهِ الَّذِي أَرْسَلَهُ لَهُمْ . . فَاتَّبَعُوا مِنْهُ مَا أَرَادُوا
وَأَثْبَتُوا فِيهِ مَا يَتَّفِقُ وَرَغَبَاتِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةَ وَيَحَقِّقُ أَهْدَاهُمْ الْمَادِيَّةَ . .
وَكُلَّمَا تَعَاقَبَتِ الْأَعْوَامُ . . تَكَرَّرَ التَّحْرِيفُ وَزَادَ . . وَلَمْ يَكُنْ

ذَلِكَ بِالْمُسْتَغْرِبِ مِنْهُمْ ، فَأَيُّهُمْ عَلَى عَهْدِ رَسُولِهِمْ . . . وَفِي
وُجُودِ نَبِيِّهِمْ مُوسَى . . . كَانُوا يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ . . .
فَلَيْسَ إِذَنْ بِالْعَجِيبِ أَنْ يُحَرِّفَ الْيَهُودُ التَّوْرَةَ . . . وَلَكِنَّ الْعَجِيبَ
أَلَّا يُحَرِّفُوهَا .

وَأَرْسَلَ اللَّهُ لَهُمْ رَسُولًا بَعْدَ مُوسَى . . . هُوَ سَيِّدُنَا عِيسَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَأَوْحَى إِلَيْهِ الْأَنْجِيلَ تَصْحِيحًا لِلنَّسْخِ الْمُتَدَاوِلَةِ
مِنَ التَّوْرَةِ الْمُحَرَّفَةِ . . . وَهَدَايَةً وَرَحْمَةً لِهَؤُلَاءِ الْقَوْمِ وَلِيُرْشِدَهُمْ
إِلَى حَقَائِقِ الدِّينِ . . . كَمَا جَاءَتْ بِهَا التَّوْرَةُ . . . وَأُصُولُ التَّعَامُلِ
كَمَا أَنْزَلَهَا اللَّهُ جَلَّ شَأْنُهُ . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ :
(وَفَقَيْنَا عَلَى آثَارِهِمْ بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ
مِنَ التَّوْرَةِ وَآتَيْنَاهُ الْأَنْجِيلَ فِيهِ هُدًى وَنُورٌ وَمُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ
يَدَيْهِ مِنَ التَّوْرَةِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ) . وَكَمَا حَارَبَ
الْقَوْمَ رَسُولُهُمْ وَنَبِيِّهِمُ الْأَوَّلَ سَيِّدَنَا مُوسَى . فَقَدْ حَارَبُوا . . .
سَيِّدَنَا عِيسَى . . . وَكَذَّبُوهُ . . . وَطَارَدُوهُ . . . وَحَتَّى هَؤُلَاءِ الَّذِينَ
آمَنُوا بِهِ . . . وَاتَّبَعُوهُ . . . كَانُوا هَدَفًا لِحُرُوبِ شَدِيدَةٍ . . . وَتَعْلِيلُ
أَلِيمٍ . . . لَا سِيَّمَا بَعْدَ مَوْتِ سَيِّدَنَا عِيسَى . . . وَظَلَّتِ الْحُرُوبُ

وَالْاضْطِهَادَاتُ مِائَاتِ السِّنِينَ . . انْتَهَتْ فِيهَا الْأَجْيَالُ الَّتِي
عَاشَتْ مَعَ سَيِّدِنَا عِيسَى مُبَاشَرَةً . . أَوِ الَّتِي انْتَهَتْ بِأَصْحَابِهِ . .
وَفِي أَجْيَالٍ بَعْدَتْ بَيْنَهَا وَبَيْنَ رِسَالَةِ سَيِّدِنَا عِيسَى الشُّقَّةُ . .
انْتَهَتْ الْحُرُوبُ ضِدَّ الْمَسِيحِيِّينَ فَقَامُوا بِمُحَاوَلَاتٍ لَوْضَعِ أُسُسٍ
دِيَانَتِهِمْ بَعْدَ أَنْ حُرِّمُوا مِنْ مُدَارَسَتِهَا أَوْ التَّحَدُّثِ عَنْهَا أَوْ افْتِنَاءِ
أَيِّ أَثَرٍ لَهَا طَوَالَ الْأَجْيَالِ الْعَلِيدَةِ . . وَحَاوَلُوا اسْتِخْلَاصَ
بَعْضِ مَا جَاءَ فِي إِنْجِيلِهِمْ الَّذِي فَقَدَ . . وَكَانَتْ هَذِهِ الْمُحَاوَلَاتُ
مَسَبِّأً فِي نَشْوءِ خِلَافَاتٍ بَيْنَ جَمْعَرَةِ الْمَسِيحِيِّينَ أَدَّتْ إِلَى ظُهُورِ
فِرْقٍ عَالِدَةٍ . . كُلُّ فِرْقَةٍ تَتَمَسَّكُ بِآرَاءٍ وَطُقُوسٍ وَهُجُودَاتٍ
بَعِيدَةٍ عَنِ الْأُخْرَى . . وَتَمَسُّ صُلْبَ الْعَقِيدَةِ وَآمَسَ الدِّينِ . .
وَبَدَلًا مِنْ إِنْجِيلِ سَيِّدِنَا عِيسَى . . وَجَدَ أَكْثَرُ مَنْ سَبَّحِينَ كِتَابًا .
كُلُّهَا كُتِبَتْ بَعْدَ عَهْدِ سَيِّدِنَا عِيسَى بِأَزْمَانٍ طَوِيلَةٍ . . ثُمَّ اتَّفَقَ
هَلَى الْإِبْقَاءِ عَلَى أَرْبَعَةِ كُتُبٍ مِنْهَا مُنْهَيْتُ بِأَنْجِيلِ مَتَّى وَمَرْفُوسُ
وَلُوقَا وَيُوحَنَّا . . وَكَذَا تَدُلُّ عَلَيْهِمَا أَسْمَاؤُهَا فِيهِ مِنْ وَضْعِ
أَصْحَابِهَا تَأْرِيبَهَا لِحَيَاةِ بَلَدِنَا الْمَسِيحِيِّ . . وَاسْتَبْعَلَتْ بَاقِي
الْكُتُبِ حِينَئِذٍ لَا تَتَّفِقُ وَرِجَاءَاتٍ مِنْ كَانُوا مُجْتَمِعِينَ لَوْضَعِ

أُسِّسَ الدِّينُ . . وَأَهَمُّ هَذِهِ الْكُتُبِ إِنْجِيلُ بَرْنَابَا الَّذِي يُبَشِّرُ
صَرَاحَةَ بِرَسُولٍ بَعْدَ سَيِّدِنَا عِيسَى يُرْسَلُهُ اللَّهُ لِلْعَالَمِينَ .

وَحَيِّمَتْ عَلَى الْعَالَمِ سُحْبُ كَثِيفَةٌ مِنَ الضَّلَالِ . وَقَلَّ عِنْدُ
الْمُؤْمِنِينَ الْمَوْحِدِينَ . . فَالِدِّيَانَةُ الْيَهُودِيَّةُ الَّتِي جَاءَ بِهَا سَيِّدُنَا
مُوسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . . فَقَدَتْ أَسَاسَهَا بِتَحْرِيفِ
التَّوْرَةِ . ذَلِكَ التَّحْرِيفُ الْمُتَعَمَّدُ الَّذِي قَصَدَ بِهِ بَعْضُ الْيَهُودِ
قَضَاءَ مَصَالِحِهِمُ الدُّنْيَوِيَّةِ وَتَحْقِيقَ أَغْرَاضِهِمُ الشَّخْصِيَّةِ . . .
وَظَهَرَتْ الْيَهُودِيَّةُ الَّتِي وَضَعَ أُسُسَهَا رِجَالُ الدُّنْيَا مِنْهُمْ . . بِكُتُبِ
قَرَسَ لَهُمْ طَرِيقَ اسْتِعْغَالِ الْبَشَرِ . . وَاسْتِعْمَارِ الْغَيْرِ . . وَهِيَ
تَخْتَلِفُ كَثِيرًا عَنِ الدِّيَانَةِ الْحَقَّةِ . . الَّتِي بَعَثَ اللَّهُ بِهَا نَبِيَّهَ
وَرَسُولَهُ سَيِّدَنَا مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ . . وَالْمَسِيحِيَّةِ . . فَقَدَتْ
أَصْلَهَا . بِفَقْدِ إِنْجِيلِ سَيِّدِنَا عِيسَى عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ . .
وَبِذَلِكَ وَجَدْنَا أَنَّهُ بَدَلَ التَّوْحِيدِ الْمُطْلَقِ الَّذِي تَأَذَّنَ بِهِ الرَّسُولُ
وَالْأَنْبِيَاءُ مِنْذَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . . قَدْ انْتَشَرَ الشِّرْكُ وَالْكَفْرُ . .
فَمَنْ قَائِلٌ إِنَّ اللَّهَ ثَلَاثَةٌ . . وَمَنْ قَائِلٌ إِنَّ الْمَلَائِكَةَ بَنَاتُ اللَّهِ . .

وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ إِنَّ الْأَنْبِيَاءَ أَبْنَاءُ اللَّهِ . . وَغَيْرُهُمْ يُنْكِرُونَ
وُجُودَ اللَّهِ وَيَكْفُرُونَ بِهِ . . وَغَيْرُهُمْ عَبَدُوا الْأَصْنَامَ . . أَوْ
النُّجُومَ . . أَوْ النَّارَ . . أَوْ الشَّجَرَ . . وَكَانَ لَا بَدَّ مِنْ رِسَالَةٍ
تَهْدِي الْعَالَمَ . . وَمِنْ رَسُولٍ يُرْسِلُهُ الْعِبَادَ .

وَفِي عَامِ ٥٧٠ بَعْدَ مِيلَادِ سَيِّدِنَا عِيسَى تَقَدَّمَ أَبْرَهُةُ الْحَبَشِيُّ
عَلَى رَأْسِ جَيْشٍ كَبِيرٍ يَقْوَدُهُ وَقَدْ رَكِبَ عَلَى فِيلٍ ضَخْمٍ قَاصِدًا
هَدمَ الْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ الَّتِي بَنَتْهَا الْمَلَائِكَةُ مَعَ آدَمَ لِيَعْبُدَ فِيهَا
اللَّهُ . . بِطَوَافِهِ حَوْلَهَا . . وَخَرَجَ أَهْلُ مَكَّةَ إِلَى الْبَيْتِ . . وَقَدْ
أَفْرَعَهُمْ أَنْ يَحْدُثَ هَذَا الَّذِي لَمْ يَسْمَعُوا بِمِثْلِهِ فِي حَيَاتِهِمْ
وَأَسْتَعَدَّ أَبْرَهُةُ وَاقْتَرَبَ مِنَ الْكَعْبَةِ ، وَلَمَّا لَمْ يَبْقَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ
تَحْقِيقِ مَقْصِدِهِ إِلَّا ضَرْبَةُ فَنَاسٍ وَجَدَ بَعْضَ جُنُودِهِ وَقَدْ أَصَابَهُمْ
وَبَاءٌ قَدْ قَتَلَهُ الطَّيْرُ الَّتِي أَرْسَلَهَا اللَّهُ مَعَ الْحِجَارَةِ الَّتِي كَانَتْ
تُرْمِيهِمْ بِهَا ، وَسَقَطُوا بِسَبَبِهِ بَعْدَ لَحْظَاتٍ مَوْتٍ . . وَلَمْ
يَسْتَطِيعْ أَنْ يَتَدَبَّرَ أَمْرَهُ . إِذْ وَجَدَ الْإِصَابَاتِ تَنْتَشِرَ بِصُورَةٍ
غَيْرَ مَعْهُودَةٍ . . وَالْوَبَاءِ يَسْتَفْزِلُ بِطَرِيقَةٍ غَيْرِ مَعْرُوفَةٍ . فَمَا ظَنُّ

كُلُّ الْجَيْشِ الَّذِي اقْتَرَبَ مِنَ الْكَعْبَةِ وَرَجَعَ مُتَفَهِّقًا كُلُّ مَنْ
كَانَ فِي الطَّرِيقِ إِلَيْهَا . وَفَرَّ أَبْرَهَةَ إِلَى الْيَمَنِ مُصَابًا يَلْتَمِسُ
النَّجَاةَ . وَلَكِنَّهُ مَاتَ . لَا كَمَا مَاتَ غَيْرُهُ مِنْ أَفْرَادِ جَيْشِهِ . .
وَلَكِنَّهُ مَاتَ بَعْدَ أَنْ لَقِيَ مِنْ عَذَابِ الْمَرَضِ مَا يَسْتَحِقُّهُ جَزَاءَ
مُؤْمِنٍ نِيَّتِهِ . . وَمَنْ عَجَبَ أَنْ يُفَرَّقَ الْوَبَاءُ بَيْنَ الْمُعْتَدِينَ . .
وَبَيْنَ أَهْلِ مَكَّةَ الْأَمْنِينَ فَلَمْ يُصَبَّ غَيْرَ جَيْشِ الْغَاصِبِينَ . .
وَخَرَجَ أَهْلُ مَكَّةَ يَحْتَغْلِبُونَ بِإِنْتِصَارِ الْحَقِّ الْمُسِينِ . . وَفِي غَمْرَةِ
الْاِحْتِفَالَاتِ الْبَاهِرَةِ . . وَالْأَفْرَاحِ الشَّامِلَةِ . . بِإِنْسِحَابِ الْمُعْتَدِينَ
الْغَاشِمِينَ . . وَانْدِحَارِ الْمُسْتَعْمِرِينَ وَلَدَ فِي بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ
أَشْرَافِ مَكَّةَ . . طِفْلٌ يَتِيمٌ مَاتَ أَبُوهُ وَأُمُّهُ بِهِ حَامِلٌ . وَكَانَ
مَوْلَدَ هَذَا الطِّفْلِ فِي هَذَا الْعَامِ الَّذِي انْتَصَرَ الْحَقُّ فِيهِ عَلَى
الْبَاطِلِ بِقُدْرَةِ اللَّهِ رَحْمَةً مِنَ اللَّهِ لِلْعَالَمِينَ . . وَهَدَايَةً لِلنَّاسِ
أَجْمَعِينَ . . فَفِي الْيَوْمِ الثَّانِي عَشَرَ مِنْ شَهْرِ رَبِيعِ الْأَوَّلِ وَهُوَ
الشُّهُرُ الْمَوْافِقِ لِأَخْطَاطُسٍ مِنْ عَامِ ٥٧٠ م الَّذِي سُمِّيَ بِعَامِ الْفِيلِ
وَلَدَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ مِنَ السَّيِّدَةِ آمَنَةَ هَذَا الطِّفْلُ الَّذِي
تَقُولُ أُمُّهُ . . إِنَّهَا لَمْ تَعِجْ مُشَقَّةً فِي حَمْلِهِ وَلَا فِي وَلَادَتِهِ .

وَأَنَّهُ مَا إِنْ خَرَجَ إِلَى الدُّنْيَا حَتَّى خَرَجَ مَعَهُ نُورٌ أَضَاءَ مَا بَيْنَ
الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ . وَعِنْدَمَا ذَهَبُوا بِالطُّفْلِ إِلَى جَدِّهِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ .
وَهُمْ يَحْتَفِلُونَ فِي الْكَعْبَةِ بِنَجَاتِهَا مِنْ كَيْدِ الْمُعْتَدِينَ . .
وَبِمِيلَادِ هَذَا الطُّفْلِ الْيَتِيمِ قَالَ جَدُّهُ لَقَدْ أَسْمَيْتُهُ مُحَمَّدًا لِيَحْمَدَهُ
اللَّهُ فِي السَّمَاءِ وَيَحْمَدَهُ الْخَلْقُ فِي الْأَرْضِ .

وَكَانَ مِيلَادُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ خَاتَمَ الرُّسُلِ
وَالْأَنْبِيَاءِ بِدَايَةِ تَارِيخٍ جَدِيدٍ لِلْبَشَرِيَّةِ . حَيْثُ أَرَادَ اللَّهُ بِهَا
أَنْ تَخْرُجَ مِنْ ظُلُمَاتِ الْكُفْرِ إِلَى أَنْوَارِ الْإِيمَانِ وَمِنْ ضَلَالَاتِ
الشُّرْكِ . . إِلَى هِدَايَةِ التَّوْحِيدِ .

الإسلام دين عام

يُقرّر التاريخُ أَنَّ سَيِّدَنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لَمْ
يَكُنْ فِي طفولته كغيره من الأطفال ، ويُجمَعُ المؤرخون على
أَنَّهُ فِي شبابه لَمْ يَكُنْ كغيره من الشباب . . فَأَنتُمْ تُعرِفُونَهُ
نقيصةً مما يَناتِيها الأَطنالُ . . وَلَمْ يُحَاوِلْ أَنْ يُلْهُو . . كَمَا
يَقُولُ كُلُّ الشبابِ . . إِذْ كَانَ مُنْذُ طفولته الصادقَ الأمينَ .
وَلِذَلِكَ فَتَدُ لُغَيْبٌ مُنْذُ حَدَاتِهِ بِالْأَمِينِ . . وَأَمَّا فِي شبابه فَكَانَ
الْبَيْتَ الطاهرَ النزيهَ . . وَإِذَا اخْتَصَمَتِ الْجُمُوعُ فَكَانَ نَعَمَ
الرَأْيَ مَا يَرَاهُ . . وَإِذَا وَجِبَتْ شَهَادَةُ اتِّجَهِ النَّاسِ إِلَيْهِ . .
فَالْحَقَّ دَائِمًا مَا يَشْهَدُ بِهِ . . وَالْبَاطِلُ مَا عَرَفَ الطَّرِيقَ أَبَدًا إِلَيْهِ .

نَشَأَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَوْجَكَ قَوْمَهُ يَعْْبُدُونَ
الْأَصْنَامَ . . وَلِكُلِّ قَبِيلَةٍ صَنَمُهَا . . وَلِكُلِّ أُسْرَةٍ وَثَنُهَا . .
بَلْ وَلِكُلِّ فَرْدٍ مِنْهُمْ مَعْبُودُهُ الَّذِي يَجْعَلُهُ مَعَهُ أَيْدِمًا حَلًّا أَوْ
ارْتَحَلًا . . وَكَانَ طَبِيعِيًّا أَنْ يَعْْبُدَ الْأَصْنَامَ وَلَوْ لِفَتْرَةِ طفولته
أَوْ شبابه . . فَهَذَا مَا وَجَدَ عَلَيْهِ آيَاتُهُ وَأَجْدَادُهُ . . وَقَوْمُهُ

سَادَتُهُمْ وَعَبِيدُهُمْ . . وَلَكِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَانَ يُعِدُّهُ
إِعْدَادًا خَاصًّا لَتَلْقَى أَطْهَرَ وَأَعْظَمَ رِسَالَةً فِي الدُّنْيَا . فَعَصَمَهُ
مَنْ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ . . فَلَمْ يُقْبَلْ وَثْنَا . . وَلَمْ يُقَدَّسْ صَنَمًا . .
وَإِنَّمَا نَظَرَ بِبَصَرِهِ وَبَصِيرَتِهِ . . وَفَكَرَ بِعَقْلِهِ . . وَقَلْبِهِ . .
كَيْفَ رُفِعَتْ الْإِبِلُ ؟ . . وَوَجَدَ النُّجُومَ تَمَلُّاُ صَفْحَةَ السَّمَاءِ . .
تُرَى مَنْ يُمْسِكُ هَذِهِ النُّجُومَ . . فَلَا تَتَصَادَمُ . . أَوْ تَتَهَاوَى ؟ . .
وَمَنْ يُقَلِّبُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ؟ . . تُرَى أَى قُوَّةٍ عَاقِلَةٌ مُدَبِّرَةٌ
حَكِيمَةٌ . . وَرَاءَ هَذَا الْكَوْنِ ؟ . . وَمَا بَالُ هَؤُلَاءِ الْقَوْمِ . .
يَنْحِتُونَ مِنَ الْأَحْجَارِ تَمَاثِيلَ . . ثُمَّ يَعْبُدُونَهَا . . وَيَصْنَعُونَ
بِأَيْدِيهِمْ أَصْنَافًا مِنْ خَشَبٍ أَوْ حَدِيدٍ ثُمَّ يُقَدِّسُونَهَا ؟ . . تُرَى
هَلْ تَمْلِكُ لَهُمْ هَذِهِ الْأَصْنَامُ نَفْعًا أَوْ ضَرًّا . . ؟ . . وَكَمْ مِنْ
مَرَّةٍ وَقَعَ مِنَ الْقَبِيلَةِ صَنْعُهَا فَانْكَسَرَ وَالتَّمَسَّتْ لَهَا صَنْمًا غَيْرُهُ . .
وَمَا عَرَفَتْ أَنَّ الصَّنَمَ لَمْ يُمْكِنْهُ دَفْعُ الْأَذَى عَنْ نَفْسِهِ . . فَكَيْفَ
يُدْفَعُهُ عَنْ غَيْرِهِ ؟ . . حَقًّا إِنَّهُمْ لَقَوْمٌ ضَالُّونَ .

وَشَعَرَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِرَغْبَةٍ مُتَبَدِّلَةٍ
فِي أَنْ يَخْتَلِيَ بِنَفْسِهِ بِعِيدَا عَنِ النَّاسِ . . حَتَّى يَكُونَ بِمَنْزِلِ

عَمَّا بَرَّكَتُهُ قَوْمُهُ مِنْ خَطَايَا وَذُنُوبٍ . . وَحَتَّى يَتَجَرَّدَ لِلشَّاهِدِ . .
 فَاخْتَارَ لِنَفْسِهِ مَكَانًا مُنْقَطِعًا فِي جَبَلٍ بَعِيدٍ . . هُوَ غَارُ حِرَاءَ . .
 إِذَا نَظَرَ إِلَى السَّمَاءِ وَجَدَهَا مِنْهُ قَرِيبَةً . . وَإِذَا نَظَرَ إِلَى بَطْنِ
 مَكَّةَ . . وَجَدَ نَفْسَهُ بَعِيدًا عَنْ أَهْلِهَا . . وَعَمَّا يَرْتَكِبُونَهُ . .
 وَحَدَّدَ لِنَفْسِهِ شَهْرًا كُلَّ عَامٍ . . هُوَ شَهْرُ رَمَضَانَ . . يَعْتَكِفُ
 فِيهِ فِي الْغَارِ فَلَا يُغَادِرُهُ إِلَّا لِقَاءًا . . يَتَمَلَّلُ ، وَيَطْلُبُ الْعَوْنَ مِنْ
 هَذِهِ الْقُوَّةِ الَّتِي خَلَقَتْهُ وَخَلَقَتْ الْعَالَمَ وَالَّتِي تُسَيِّطِرُ عَلَى كُلِّ
 الْوُجُودِ . . هَذِهِ الْقُوَّةُ الَّتِي لَا يَحُدُّهَا بَصَرٌ . . وَلَا يُحِيطُ بِهَا
 عَقْلٌ . . فَهِيَ لَا بُدَّ أَنْ تَكُونَ فِي كُلِّ مَكَانٍ . . لِأَنَّ أَيْ مَكَانًا . .
 وَكُلَّ مَا فِيهِ . . إِنَّمَا هُوَ فِي حَاجَةٍ إِلَى هَذِهِ الْقُوَّةِ . . لِيُوجَدَ
 وَيَقُومَ . . وَيَسْتَمِرَّ . .

وَمَرَّتْ الْأَعْوَامُ وَهُوَ يَتَمَلَّلُ مَشَاهِدَ الْعِظَمَةِ الْخَالِقَةِ فِي كُلِّ
 مَا حَوْلَهُ . . وَيَرَى الرُّؤْيَا لَيْلًا فِي مَنَامِهِ . . فَإِذَا بِهَا تَتَحَقَّقُ فِي نَهَارِهِ
 جَلِيلَةً وَاضِحَةً . . وَكَمَا رَأَاهَا بِلَا تَغْيِيرٍ أَوْ تَعْدِيلٍ . . وَيَرْقُبُ
 شَهْرَ اعْتِكَافِهِ لِيَخْلُوَ فِيهِ إِلَى نَفْسِهِ وَيَزِيدَ دَرَجَةً تَمَامُهُ . . حَتَّى

بَلَغَ الْأَرْبَعِينَ مِنْ عُمُرِهِ وَهُوَ سِنُ الْكَمَالِ الْجَسْمِيِّ وَالْعَقْلِيِّ لِلْإِنْسَانِ
فَإِذَا بِهِ وَهُوَ فِي لَيْلَةِ السَّابِعِ وَالْعَشْرِينَ مِنْ اعْتِكَافِهِ فِي شَهْرِ
رَمَضَانَ . . يَسْمَعُ صَوْتًا فِي الْعَارِ يَتَرَدَّدُ بَيْنَ جَنَابَاتِهِ . وَهُوَ
يَأْمُرُهُ بِقَوْلِهِ (اقْرَأْ) . . وَمَا كَانَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ يَعْرِفُ الْقِرَاءَةَ وَالْكِتَابَةَ . . فَيُجِيبُهُ قَائِلًا (مَا أَقْرَأُ) . .
وَيَتَكَرَّرُ الْأَمْرُ مَرَّةً أُخْرَى . ثُمَّ مَرَّةً ثَلَاثَةً . وَيَرُدُّ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ
نَفْسَ الرَّدِّ ، وَهَذَا يَظْهَرُ الْمَلَكُ الَّذِي يُعَلِّمُهُ . . وَيَضْحَكُ ضَحْكَةً
قَوِيَّةً وَيَقُولُ لَهُ (اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ . خَلَقَ الْإِنْسَانَ
مِنْ خَلْقٍ : اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ * الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ : عَلَّمَ
الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ) . وَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلُ نَزُولِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
وَكَانَتْ دَانِهِ أَوَّلُ آيَاتِهِ الشَّرِيفَةِ . . وَكَانَ الْمَلَكُ هُوَ جِبْرِيلُ
الْأَمِينُ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَتَتَابَعَ نَزُولُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ حَتَّى تَمَّتْ آيَاتُهُ وَالَّتِي بَلَغَ
حَدُّهَا ٦٢٣٦ آيَةً شَرِيفَةً تَحْتَوِيهَا مِائَةٌ وَأَرْبَعُ عَشْرَةَ سُورَةً
وَكَانَتْ آخِرُ آيَاتِهَا الْكَرِيمَةِ هِيَ (الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ
وَأَنْصَحْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا) بَعْدَ

ثَلَاثَةَ وَعَشْرِينَ عَامًا مِنْ نُزُولِ أَوَّلِ آيَاتِهِ الشَّرِيفَةِ . . . وَبِذَلِكَ
نَزَلَ آخِرُ الْكُتُبِ السَّمَاوِيَّةِ مِنَ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَلَى خَاتَمِ الرُّسُلِ
وَالنَّبِيِّينَ سَيِّدَنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِالدِّينِ الْإِسْلَامِيِّ .
آخِرِ الْأَدْيَانِ وَأَتَمِّهَا .

وَلَمْ يُرْسَلْ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ إِلَى قَوْمِهِ فَقَطْ . كَمَا أُرْسِلَ بَاقِي
الرُّسُلِ وَالْأَنْبِيَاءِ ، وَلَكِنَّهُ أُرْسِلَ لِلْعَالَمِينَ جَمِيعًا لِيَهْدِيَ النَّاسَ
أَيْنَمَا كَانُوا . . . فَفِي بِلَادِ الْعَرَبِ حَيْثُ كَانَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ كَانَ
الْقَوْمُ يَعْبُدُونَ الْأَصْنَامَ . . . وَفِي غَيْرِهَا . . . كَانَتِ الْيَهُودِيَّةُ
الْمُنْحَرِفَةُ وَالْمَسِيحِيَّةُ غَيْرَ الصَّحِيحَةِ . . . وَكَانَ الْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ
الَّذِينَ تَمَسَّكُوا بِشِرَاطِ عِيسَى وَمُوسَى وَعِيسَى قَلَّةٌ لَا تَكَادُ تُذَكَّرُ . . .
وَلِذَلِكَ فَقَدْ أُرْسِلَ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ لِلنَّاسِ جَمِيعًا . . . بَيْنَمَا أُرْسِلَتِ
الرُّسُلُ مِنْ قَبْلِهِ إِلَى أَقْوَامِهِمْ فَقَطْ . . . فَجَنَدُ فِي النَّسَخِ الْمُنْدَاوَلَةِ
مِنَ التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ النَّصُوصَ الَّتِي تُؤَكِّدُ ذَلِكَ إِذْ تَقُولُ أَهْلُ
التَّنْكِحَةِ عَنْ رِسَالَةِ سَيِّدِنَا إِبْرَاهِيمَ (وَقَالَ الرَّبُّ لِإِبْرَاهِيمَ اذْهَبْ
مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي
أُرِيكَ . فَاجْعَلْكَ أُمَّةً عَظِيمَةً وَابَارَكَكَ وَأَعْظَمْ اسْمَكَ وَتَكُونْ

رَّسَكَةً) وَعَنْ سَيِّدِنَا مُوسَى تَرَدَّدُ أَسْفَارُ الْخُرُوجِ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ
وَتَعَالَى إِنَّمَا أَرْسَلَهُ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ بِالنَّصِّ (وَقَالَ اللَّهُ أَيْضًا
لِمُوسَى هَكَذَا تَقُولُ لِبَنِي يَهُوَّهٗ إِلَهَ آبَائِكُمْ إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِلَهَ
إِسْحَاقَ وَإِلَهَ يَعْقُوبَ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ) وَعَنْ رِسَالَةِ سَيِّدِنَا الْمَسِيحِ
بِقَوْلِ إِنْجِيلِ مَتَّى (هَؤُلَاءِ الْإِنَّمَا عَشَرَ أَرْسَلَهُمْ يَسُوعُ وَأَوْصَاهُمْ
نَائِلًا إِلَى طَرِيقِ أُمَمٍ لَا تَمْضُوا وَإِلَى مَدِينَةٍ لِلسَّامِرِيِّينَ لَا تَدْخُلُوا .
بَلْ اذْهَبُوا بِالْحَرَى إِلَى خَرَافَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةَ) وَعَلَى
لِسَانِهِ يَقُولُ نَفْسُ الْإِنْجِيلِ (فَاجَابَ وَقَالَ لَمْ أَرْسَلْ إِلَّا إِلَى
خَرَافَ بَيْتِ إِسْرَائِيلَ الضَّالَّةَ) . وَفِي ذَلِكَ يَقُولُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ :
(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ) .
(وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَلِكَم خَيْرٌ
لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) .
(وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ)
(وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي
رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

(وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ) .

وَكَذَلِكَ كَافَّةُ الرُّسُلِ قَبْلَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
بِالنُّصْرِ الشَّرِيفِ (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ)
أَدَا عَنْ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَتَقُولُ الْآيَاتُ الشَّرِيفَةُ :

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا)

(قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا)

وَلَذَلِكَ فَإِنَّ الْمُعْجِزَةَ الَّتِي آيَّدَ اللَّهُ بِهَا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى
رَسُولُهُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تَخْتَلِفُ عَنْ بَاقِي
الْمُعْجِزَاتِ الَّتِي آيَّدَ بِهَا الرُّسُلَ السَّابِقِينَ حَتَّى تَكُونُ صَالِحَةً
لِكُلِّ الْأَجْيَالِ .. فَكَانَتْ مُعْجِزَةُ سَيِّدِنَا مُوسَى فِي عَصَاهُ الَّتِي إِذَا
أَلْقَاهَا تَحَرَّكَتْ وَاهْتَزَّتْ .. وَكَانَ السَّحَرَةُ قَدْ بَرَعُوا فِي وَقْتِهِ
فَكَانُوا إِذَا أَلْقَوْا حَبَالَهُمْ نَحِيلَ لِلنَّاسِ أَنَّهَا تَهْتَزُّ .. فَكَانَتْ عَصَا
مُوسَى إِذَا أَلْقَاهَا تَفُوقُ حَبَالَهُمْ بَلْ وَتَلْقَفُهَا .. وَكَانَتْ مُعْجِزَةُ
سَيِّدِنَا عِيسَى .. فِي إِبْرَائِيهِ الْمَرْضَى الَّذِينَ لَمْ يَكُنِ الطَّبَّ يَسْتَطِيعُ

شَمَاءَهُمْ .. وَأَحْيَاءَ الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ .. وَخَلَقَ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ
 الطَّيْرِ .. وَنَفَخَ فِيهِ فَمَاصَّيْحَتْ طَيْرًا بِإِرَادَةِ اللَّهِ .. وَكُلَّ هَذِهِ
 الْمُعْجَزَاتِ مَادِيَّةٌ وَوَقْتِيَّةٌ .. يُؤْمِنُ بِهَا مَنْ يَرَاهَا .. وَقَدْ لَا يُؤْمِنُ
 بِهَا مَنْ تَهْلُهُ أَخْبَارُهَا عَنْ طَرِيقِ التَّوَاتُرِ .. وَقَدْ نَجَدُ مَنْ يُنْكِرُ
 رِسَالَةَ الرُّسُلِ لِأَنَّهُ لَا دَلِيلَ عَلَيْهَا إِلَّا مَا يَصِلُهُ عَنْ غَيْرِهِ .. وَبِذَلِكَ
 فَإِنَّ هَذِهِ الرُّسَالَاتِ كَانَتْ لِأَقْوَامِ الرُّسُلِ إِذْ رَأَوْا الْمُعْجَزَاتِ
 فَاْمَدُوا .. وَنَشَأَتْ أَجْيَالٌ تَثْقُ فِيْمَا نَقِلَ إِلَيْهَا مِنَ الْآبَاءِ وَالْأَجْدَادِ ..
 وَلَكِنْ تَتَابَعِ الْأَجْيَالِ أَوْجَدَ مِنَ الْمَلَحِدَةِ مَنْ أَثَارُوا الشَّكَّ فِي
 هَذِهِ الرُّسَالَاتِ .. وَأَمَّا مُعْجَزَةُ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
 فَقَدْ شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ مُعْجَزَةً دَائِمَةً وَبَاقِيَةً يَرَاهَا النَّاسُ
 فِي مُخْتَلَفِ الْأَجْيَالِ وَشَتَّى الْأَزْمَانِ .. وَلِيَعْرِضُوهَا عَلَى عُقُولِهِمْ
 وَقُلُوبِهِمْ فِي أَىِّ وَقْتٍ فَيَجِدُوا فِيهَا السَّبِيلَ إِلَى الْاِقْتِنَاعِ بِرِسَالَةِ
 سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَأَنَّهَا لِلْبَشَرِ كَافَّةٍ وَلِمُخْتَلَفِ
 الْعُصُورِ .. هَذِهِ الْمُعْجَزَةُ هِيَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ .. الَّذِي تُتَدَاوَلُ
 طَبَعَاتُهُ كَمَا تَرَكَّهَا سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَلَمْ يَنْلُ
 أَىِّ تَغْيِيرٍ أَوْ تَحْرِيفٍ .. وَلَمْ تَدْخُلْ عَلَيْهِ أَىِّ زِيَادَةٍ أَوْ تَعْدِيلٍ ..

طَوَالَ الْأَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا الَّتِي مَضَتْ مُنْذُ نُزُولِهِ إِلَى الْيَوْمِ وَالَّذِي
ظَلَّ فِيهَا مَوْضِعَ الْإِعْجَازِ وَالْإِقْنَاعِ وَالَّذِي سَيَظِلُّ كَذَلِكَ إِلَى يَوْمِ
الَّذِينَ ..

وَمِنَ الْأَدِلَّةِ التَّمَاطُّعَةِ عَلَى أَنَّ رِسَالَةَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِنَّمَا هِيَ رِسَالَةٌ عَامَّةٌ لِلنَّاسِ كَافَّةً أَنَّمَا نَجِدُ أَنَّ لِلْقُرْآنِ
الْكَرِيمِ وَجُوهًا لِلْإِعْجَازِ بِحَيْثُ تَكْفِي لِإِفْتِنَاعِ طَبَقَاتِ الْبَشَرِ عَلَى
اِخْتِلَافِ ثَقَافَاتِهِمْ وَأَيَّاكَ كَانَتْ لُغَاتُهُمْ .. وَالْأَزْمِنَةُ الَّتِي يَعْيشُونَ
فِيهَا .. فَكَمَا كَانَ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ مُعْجِزًا مِنْ عَشَرَاتِ الْمِائَاتِ
مِنَ السَّنِينَ .. فَهُوَ قِمَّةُ الْإِقْنَاعِ وَمَوْضِعُ الْإِعْجَازِ فِي عَصْرِنَا
الْحَالِيِّ .. وَسَيَكُونُ كَذَلِكَ بَعْدَ آلَافِ السَّنِينَ ..

يَجِدُ فِيهِ الْعَرَبُ أَيْنَمَا كَانُوا وَفِي أَيِّ وَقْتٍ وَجَدُوا مِنْ
يَتَخَصَّصُونَ فِي اللُّغَةِ مَا وَجَدَهُ فِيهِ أَجْدَادُهُمْ حِينَ نَزَلَ وَكَانُوا
سَادَةَ الْبَيَانِ وَأَرْبَابَ الْكَلَامِ .. فَهُوَ فَوْقَ مُسْتَوَى الْبَشَرِ .. وَقَدْ
قَعَدَّاَهُمُ الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ أَنْ يَمَاتُوا مُجْتَبِعِينَ بِأَيَّةٍ مِنْ مِثْلِهِ ..
فَعَجَزُوا وَآمَنُوا بِهِ .

وَيَجِدُ فِيهِ الْفَادَةُ وَالرُّؤْيَاءُ وَالْمُشْرَعُونَ وَالْقَضَاءُ كُلُّ الْقَوَاعِدِ
الْأَصِيلَةِ الْحَكِيمَةِ لِلتَّشْرِيعَاتِ السِّيَاسِيَّةِ وَالْعَدَنِيَّةِ وَالْجَنَائِيَّةِ
وَالْاجْتِمَاعِيَّةِ وَغَيْرَهَا مِنَ الْأَصُولِ الشَّيْ تَلَزَمَ الْبَشَرِ فِي حَيَاتِهِمْ .
وَقَدْ اعْتَرَفَتِ الْمُؤْتَمَرَاتُ التَّشْرِيعِيَّةُ الَّتِي عُقِدَتْ أَخِيرًا بِأَنَّ
الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ يُعْتَبَرُ أَصْلًا رَاقِعًا مِنْ أُصُولِ التَّشْرِيعِ الْعَالَمِيِّ
وَيَسْبِقُ الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ بِتَشْرِيعَاتِهِ آهَالُ الْمُفْتَاهِ وَالْبَحَاثِ فِي
التَّشْرِيعَاتِ الْمِثَالِيَّةِ الَّتِي مَا زَالَ يَنْتَقِرُ إِلَيْهَا الْإِنْسَانُ ..

وَفِي عَصْرِ النِّهَازَةِ الْعِلْمِيَّةِ الْحَالِيَةِ وَجَدْنَا الْقُرْآنَ الْكَرِيمَ
قَدْ وَرَدَ الْحَقَائِقُ الْعِلْمِيَّةُ الَّتِي لَمْ يَصِلْ إِلَيْهَا الْعِلْمُ الْحَدِيثُ
إِلَّا بَعْدَ أَنْ جَنَدَتِ الدُّوَلُ أَكْبَارَ الْعُلَمَاءِ وَتَبَادَلَتِ شَتَّى الْأَرَءِ ..
وَاكتَشَفَتِ آلَاتُ الرُّصْدِ وَالْقِيَاسِ .. وَوَسَائِلُ التَّقْرِيبِ وَالتَّكْبِيرِ
وَأَجْهَزَةُ الْفَحْصِ وَالتَّحْلِيلِ .. فَرَجَالَ الْعِلْمِ وَطُلَّابُهُ مِنْ مُخْتَلَفِ
الْأَدْيَانِ يَجِدُونَ فِي آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْعِلْمِيَّةِ الْمُعْجِزَةِ الَّتِي
لَا تُبَارَى .. إِذْ كَيْفَ يَقُولُ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ ﷺ مَا كَانَتْ دَرَسَاتُهُ
وَتَقَاتُهُ وَدَرَجَةُ عِلْمِهِ .. بِحَقَائِقِ عَنِ الْفَضَاءِ وَالطَّبِ وَالْمَلَكِ

وَكَافَّةً قُطَاعَاتِ الْعِلْمِ .. الَّتِي لَمْ يَعْرِفْهَا الْعَالَمُ إِلَّا فِي السِّنِينَ
الْقَلِيلَةِ الْآخِرَةِ .. وَكَيْفَ بِالْأَمْرِ وَهُوَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الْأُمِّيُّ
الَّذِي لَا يَقْرَأُ وَلَا يَكْتُبُ ؟

وَعَبْرُهُ هَؤُلَاءِ يَجْعَلُونَ فِيهِ آيَاتِ اللَّهِ وَتَمَوَّاهِدَ التَّوْحِيدِ ..
فَتَبَعَتْ فِي قُلُوبِهِمُ الطَّمَأْنِينَةَ وَتَضَمَّنَتْ عَلَى نَفْسِهِمُ السَّكِينَةَ ..
وَعَبْرُهُمْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْهِ فَيَحْسِنُونَ بِإِيقَاعِ مُوسِيقَى رَائِعٍ
يَسْحَرُ أَلْبَابَهُمْ وَيُتَبِيرُ فِيهِمْ حَمَاسَهُمْ لِعِبَادَةِ اللَّهِ وَدِكْرِهِ .. وَالْإِيمَانِ
بِهِ ..

بَلْ إِنَّ كُلَّ فَرْدٍ أَبَا كَانَ .. وَفِي أَيْ مُسْتَوَى هُوَ .. لَيَحْدُثُ فِي
الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ إِذَا مَا اسْتَوْعَبَ آيَاتِهِ .. أَوْ أَنْصَتَ إِلَى تِلَاوَتِهِ ..
أَوْجَهَا وَنَ الْإِعْجَازِ تَجْعَلُهُ يُؤْمِنُ إِيْمَانًا كَامِلًا بِأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ
إِنَّمَا هُوَ وَحْيُ اللَّهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .. أَنْزَلَهُ عَلَى خَاتَمِ رُسُلِهِ
وَأَنْبِيَائِهِ لِيَكُونَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ وَهُوَ الدِّينُ الَّذِي بُعِثَ
بِهِ سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هُوَ دِينُ اللَّهِ الْخَالِدِ الَّذِي
ارْتَضَاهُ لِيَكُونَ خَاتَمَ الْأَدْيَانِ لِكَافَةِ عِبَادِهِ .

الدعوة الإسلامية

بَدَأَتْ الدَّعْوَةُ الْإِسْلَامِيَّةُ حِينَما دَعَا سَيِّدُنَا مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وَسَلَّمَ أَهْلَهُ وَعَشِيرَتَهُ الْأَقْرَبِينَ إِلَى الْإِسْلَامِ وَذَلِكَ اسْتِجَابَةً لِأَمْرِ
اللَّهِ مُبْعَاهُ وَتَعَالَى فِي الْآيَةِ الشَّرِيفَةِ (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ)
وَاتَّسَعَتْ بَعْدَ ذَلِكَ مَنْطِقَةُ الدَّعْوَةِ وَزَادَ عَدَدُ مَنْ قَامَ الرَّسُولُ
بِإِبْلَاغِهِمْ أَمَرَ هَذَا الدِّينِ .. وَلَمْ يَكُنْ نَشْرُ الدِّينِ الْإِسْلَامِي بِالْأَمْرِ
الْهَيْنِ .. وَلَمْ تَكُنِ الدَّعْوَةُ إِلَيْهِ بِالشَّيْءِ الْيَسِيرِ .. فَالْعَرَبُ قَوْمٌ
ذَوَا جَهَالَةٍ وَعَصَبِيَّةٍ .. فَكَيْفَ يَتْرُكُونَ مَا وَجَدُوا عَلَيْهِ الْأَبَاءَ
وَالْأَجْدَادَ مُنْذُ آلَافِ السِّنِينَ إِلَى أَمْرِ جَدِيدٍ مَا عَهْدُوهُ .. وَإِلَى دِينٍ
يُحَالِفُ مَا أَلْفُوهُ .. لِذَلِكَ فَقَدْ حَارَبَ الْعَرَبُ هَذَا الدِّينَ بِالطَّاقَةِ
الْكَاِمَةِ مِنْ كُلِّ إِمْكَانِيَّاتِهِمْ .. بِالْإِشَاعَةِ .. وَالْمَقَاتَعَةِ .. وَالْفِتَنِ
ثُمَّ بِالْعُرُوضِ السَّخِيَةِ .. فَقَدْ عَرَضُوا عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ أَنْ يُؤَلِّفَهُ
مُلْكَ بِلَادِهِمْ وَأَنْ يَجْمَعُوا لَهُ كُلَّ مَا يَشَاءُ مِنْ الْمَالِ .. عَلَى أَنْ
يَتْرَكَ لَهُمْ أَصْنَامَهُمْ يَعْبُدُونَهَا .. فَأَمَّا لَمْ يَسْتَجِبْ لِحَاوَا إِلَى
الْحَرْبِ بِكُلِّ وَسَائِلِهَا .. وَكَانَ قِتَالُ السَّيْفِ أَقْلَهَا شَأْنًا .. فَقَدْ
لَحَاوَا إِلَى الدَّسَائِسِ وَالْمُؤَهَّرَاتِ الْخَفِيَّةِ وَالْعَلَنِيَّةِ .. وَصَبَرَ رَسُولُ
اللَّهِ وَصَبَرَتْ مَعَهُ صَحَابَتُهُ الصَّادِقَةُ فِي إِعَادِهَا .. الْمَخْلُصَةَ لِإِسْلَامِهَا ..
وَهَاجَرَ زَمَرٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ بِهِ مَعْنٍ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَحْمَلَ الْأَذَى أَوْ

دَفَعَهُ إِلَى غَيْرِ بِلَادِ الْعَرَبِ .. امْتِثَالًا لِنَصِيحَةِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ ..
وَقَامَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ بِوَاجِبِهِ فِي غُرْبَتِهِ .. نَحْوَ تَبْلِيغِ الدَّعْوَةِ إِلَى
الْمُحِيطِينَ بِهِ .. فَانْتَصَرَ الْحَقُّ الْمُبِينُ عَلَى الْبَاطِلِ الْأَيْسِمِ وَفَتَحَ
رَسُولُ اللَّهِ مَكَّةَ وَدَخَلَ الْعَرَبُ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا وَأَعَادَ رَسُولُ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِلْكَعْبَةِ الشَّرِيفَةِ قَدَاسَتَهَا إِذْ حَطَّمَهَا مَا كَانَ
بِهَا مِنْ أَصْنَامٍ فَرَجَعَتْ إِلَيْهَا طَهَارَتُهَا .. وَعَادَتْ إِلَى سَابِقِ آيَاتِهَا
يَوْمَ جَدَّدَهَا إِبْرَاهِيمُ وَإِسْمَاعِيلُ امْتِدَادًا لِكَعْبَةِ آدَمَ الَّتِي بَنَتْهَا
الْمَلَائِكَةُ رَمْزًا لِلتَّوْحِيدِ .. وَمَطَافًا لِلْعَابِدِينَ وَمَزَارًا لِلْمُؤْمِنِينَ ..
وَمَثَابَةً لِلْمُتَنَبِّينَ .

وَأَرْسَلَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَتْبَاعَهُ وَصَحَابَتَهُ
وَرُسُلَهُ إِلَى بِلَادِ الْعَالَمِ يَدْعُونَ إِلَى الْإِسْلَامِ أَهْلَهَا وَيُبَلِّغُونَهُمْ
رِسَالَاتِ اللَّهِ إِلَيْهِمْ .. كَمَا أَرْسَلَ كُتُبًا رَقِيقَةً تَحْوِي أَسْطُرًا قَلِيلَةً
لِلْمُلُوكِ وَالرُّؤَسَاءِ فِي الدُّوَلِ الْمُخْتَلِفَةِ وَالْأَذْيَانِ الْآخَرَى يَدْعُوهُمْ
وَيُشْعِرُهُمْ بِهَا إِلَى الْإِسْلَامِ مِثْلًا كَتَبَ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ إِلَى
هِرَقْلَ وَالسُّقُوسَ وَكِسْرَى وَالنَّجَاشِي .. وَانْتَشَرَ الْإِسْلَامُ انْتِشَارًا
سَرِيعًا وَوَاسِعًا ..

وَبَعْدَ مَوْتِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَامَ النَّاسُ
بَعْدَهُ بِمِثْلِ مَا قَامَ بِهِ إِذْ أَرْسَلُوا الْوُفُودَ إِلَى مُخْتَلَفِ الْبِقَاعِ وَبَدَلُوا

أَفْصَى طَاقَاتِهِمْ فِي تَبْلِيغِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَنَشْرِهَا ..
فَاسْمَعَتْ رُفْعَةَ الْإِسْلَامِ إِلَى دَرَجَةٍ لَمْ يَبْلُغَهَا دِينٌ آخَرَ .. فَفِي
كُلِّ قَارَاتِ الْعَالَمِ أَسْلَمَتْ دُولٌ كَثِيرَةٌ .. فَوَجَدْنَا أَنَّ قَارَةَ آسِيَا
أَسْلَمَتْ مُعْظَمَ دُولِهَا .. بَلْ وَصَلَ الْإِسْلَامُ إِلَى أَقْصَى الْقَارَةِ ،
إِلَى جَزَائِرِ مَالْدِيْفِ جَنْوَبِ غَرْبِي جَزِيرَةِ سِيْلَانَ .. وَإِلَى الْمَلَايُو ..
وَعَمَّ الْإِسْلَامُ أُنْدُونِيْسِيَا وَانْتَشَرَ فِي الصِّينِ وَالْيَابَانَ وَفِي جَزَائِرِ
الْفِلِيبِيْنَ وَدَخَلَ الْإِسْلَامُ رُوسِيَا .. وَفِي أَفْرِيقِيَا اعْتَنَقَتْ مُعْظَمُ
دُولِهَا الْإِسْلَامَ . وَفِي أُوْرُوبَا كَمَا فِي أَمْرِيكََا وَكَمَا فِي إِنْشِرَالِيَا
انْتَشَرَ الْإِسْلَامُ انْتِشَارًا كَبِيرًا .. حَتَّى أَصْبَحَ عَدَدُ الْمُسْلِمِيْنَ حَالِيَا
يَزِيدُ عَلَى خَمْسِمِائَةِ مِلْيُونِ مُسْلِمٍ أَوْ مَا يَقْرُبُ مِنْ سُدُسِ عَدَدِ
سُكَّانِ الْعَالَمِ بِمَعْنَاهُمْ دِيَانَاتِهِمْ وَمُعْتَقَدَاتِهِمْ وَبِمَا فِيهِمْ الدِّينَ
لَمْ تَصِلْهُمْ بَعْدُ رِسَالَاتُ الْأَدْيَانِ ..

وَمَا انْتَشَرَ الْإِسْلَامُ بِهَذِهِ السَّرْعَةِ إِلَّا لِأَنَّهُ الدِّينُ الْحَقُّ .. الَّذِي
يُؤَيِّدُهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .. وَمَا كَانَ لِبَاطِلٍ أَنْ يَنْتَشِرَ شَأْنًا
الْإِنْتِشَارَ وَيَبْتَلِي طَوْلَ أَرْبَعَةِ عَشَرَ قَرْنًا يَزِيدُ فِيهِ مُعْتَقِدُوهُ كُلَّ يَوْمٍ
بَلْ كُلَّ لَحْظَةٍ .. وَتَدْخُلُ فِيهِ كَثَرَةٌ وَافِرَةٌ مِنْ يَادِرْسُونِ وَيَتَدَلُّونَ
وَيَتَفَكَّرُونَ .. وَالْقَوْلُ بِأَنَّ الْأُمَّةَ لَمْ تَنْتَشِرْ بِالسَّيْفِ .. إِنْجَا دَعْوِ

قَوْلُ مَرْدُودٍ وَرَأْيُ مَكْدُوبٍ وَخِرَافَةُ حَاقِدٍ أَوْ حَسُودٍ .. فَلَقَدْ دَخَلَ
 الْحَبَشَةَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ثَلَاثَةٌ وَثَمَانُونَ رَجُلًا وَثَمَانِي عَشْرَةَ امْرَأَةً ..
 هَاجَرُوا عَلَى عَهْدِ سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَارِينَ مِنْ
 عَذَابِ أَهْلِ مَكَّةَ .. فَهَلْ تُعْتَبَرُ هَذِهِ الْقِلَّةُ الْفَارَةُ بِأَنْفُسِهَا جَيْشًا حَارَبَ
 الْحَبَشَةَ لِيَفْتَحَهَا لِلْإِسْلَامِ ؟ .. وَلِيُصْبِحَ عَدَدُ الْمُسْلِمِينَ فِيهَا
 يَزِيدُ عَلَى سَبْعَةِ عَشَرَ مِائِيْنَ مُسْلِمٍ ؟ .. وَإِنْ فِي رُوسِيَا مَا يَزِيدُ عَلَى
 ثَلَاثِينَ مِائِيْنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ السُّوْفِيَّيَاتِ .. فَهَلْ سَارَتِ الْجِيُوشُ
 الْإِسْلَامِيَّةُ إِلَى رُوسِيَا وَحَارَبَتْهَا وَغَزَتْهَا ؟ ..

وَهَلْ تَمَكَّنَ الْجَيْشُ الْإِسْلَامِيُّ أَنْ يَسِيرَ شَرْقًا وَغَرْبًا وَشَمَالًا
 وَجَنُوبًا لِيَفْتَحَ كُلَّ هَذِهِ الدُّوَلِ وَيَنْشُرَ الْإِسْلَامَ فِي كُلِّ هَذِهِ الْبِقَاعِ
 وَهَلْ يَأْمُرُ الْإِسْلَامُ بِشَيْءٍ وَيُخَالِفُهُ ؟ .. فَقَدْ أَمَرَ بِأَلَّا يُكْرَاهُ فِي
 الدِّينِ وَذَلِكَ بِالنَّصِّ الشَّرِيفِ (لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ
 الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ) .. إِنَّ الْإِسْلَامَ لَمْ يَشْهَرْ سِلَاحًا إِلَّا لِلدِّفَاعِ
 عَنْ دِينِ اللَّهِ وَرِجَالِهِ إِذَا مَا حَاوَلَ أَعْدَاءُ اللَّهِ أَنْ يَعْتَدُوا .. وَكُلُّ
 مَا خَاضَهُ الْمُسْلِمُونَ مِنْ مَعَارِكٍ إِنَّمَا كَانَتْ حُرُوبًا دَفَاعِيَّةً اضْطَرُّوا
 لَهَا اضْطِرَارًا وَحَتَّى لَا يَطْمَعَ فِيهِمْ الْكَافِرُ .. وَشَيْءٌ شَاهِدٌ عَلَى ذَلِكَ
 مَا كَتَبَهُ الْمُؤَرِّخُونَ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ جِيَمِسٍ مِتَشَنرٍ إِذْ يَقُولُ

(اَعْتَقَدَ الْعَرَبُ أَنَّ تَوْسِعَ الْإِسْلَامِ مَا كَانَ يُمَكِّنُ أَنْ يَتِمَّ لَوْ لَمْ يَلْجَأِ الْمُسْلِمُونَ إِلَى السَّيْفِ وَلَكِنَّ الْبَاحِثِينَ لَمْ يَقْبَلُوا هَذَا الرَّأْيَ .. فَالْقُرْآنُ صَرِيحٌ فِي تَأْيِيدِهِ لِحُرِّيَّةِ الْعَقِيدَةِ وَالْأَدِلُّ قَوَى عَلَى أَنَّ الْإِسْلَامَ رَحْبٌ بِشُعُوبٍ مُخْتَلِفَةِ الْأَذْيَانِ مَا دَامَ أَهْلُهَا يَحْسِنُونَ الْمُعَامَلَةَ وَقَدْ حَرَصَ مُحَمَّدٌ عَلَى تَلْقِيَنِ الْمُسْلِمِينَ التَّعَاوُنَ مَعَ أَهْلِ الْكِتَابِ أَيِ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى . وَلَا شَكَّ أَنَّ حُرُوبًا قَدْ نَشَبَتْ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَغَيْرِهِمْ فِي بَعْضِ الْأَحْيَانِ وَكَانَ سَبَبُ ذَلِكَ أَنَّ أَهْلَ هَذِهِ الدِّيَّانَاتِ الْأُخْرَى أَصْرُوا عَلَى الْقِتَالِ) .

وَإِذْنٌ فَقَدْ قَامَ الْمُسْلِمُونَ الْأَوَّلُ بِوَاجِبِهِمْ خَيْرَ قِيَامٍ وَأَدَّوْا رِسَالَاتَهُمْ عَلَى خَيْرٍ مَا يَكُونُ الْأَدَاءُ ، فَابْلَغُوا رِسَالَاتِ الْإِسْلَامِ إِلَى الْمَدَى الَّذِي وَصَلَتْ إِلَيْهِ جُهُودُهُمْ وَإِلَى الْحَدِّ الَّذِي سَمَحَتْ بِهِ إِمْكَانِيَّاتُهُمْ ، فَهَلْ قَامَ الْمُسْلِمُونَ حَالِيًا بِوَاجِبِهِمْ الَّذِي بَعَثَهُ عَلَيْهِمْ إِسْلَامُهُمْ ؟ وَذَلِكَ بِتَقْلِيلِ دَرَجَةِ الْإِسْلَامِ عَلَى قَدْرِ اسْتِعْلَائِهِمْ وَبِكُلِّ طَاقَاتِهِمْ ، فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فَرَضَ عَلَى الْمُسْلِمِينَ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِهِ وَدَعَاهُمْ إِلَيْهِ فِي عِدَّةِ آيَاتٍ مِنَ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ بِتِلْ (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ وَجَاهِدُوا فِي سَبِيلِهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ) ، (أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تُدْخَلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا

يَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ جَاهَدُوا مِنْكُمْ وَيَعْلَمَ الصَّابِرِينَ) ، (الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ أَعْظَمَ دَرَجَةً عِنْدَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ) .

وَقَدْ يَعْتَقِدُ الْبَعْضُ أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَكُونُ إِلَّا بِالْقِتَالِ وَلَكِنْ بَعْضُ آيَاتِ الْجِهَادِ نَزَلَتْ فِي مَكَّةَ قَبْلَ الْإِذْنِ بِالْقِتَالِ مِثْلَ (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ) ، (ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَعَفُورٌ رَحِيمٌ) (فَلَا تُطْعِمِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُمْ يَدِ جِهَادًا كَبِيرًا) . الْأَمْرُ الَّذِي يُؤَكِّدُ أَنَّ الْجِهَادَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَقْتَضِي صَرْفَ الْحَرْبِ ، وَمَا الْقِتَالُ إِلَّا صُورَةٌ مِنْ صُورِ الْجِهَادِ الْعَدِيدَةِ .. وَإِذَا كَانَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ هُوَ بِذَلِكَ الْجُهْدُ وَاسْتِحْمَالُ التَّعَبِ وَالْمَشَقَّةِ وَالْإِنْفَاقِ فِي سَبِيلِ إِعْلَانِ كَلِمَةِ اللَّهِ فَلَقَدْ جَاهَدَ الْمُسْلِمُونَ الْأَوَّلُ حَقَّ الْجِهَادِ وَكَانَتْ أَهَمُّ سُبُلِ جِهَادِهِمْ نَشْرُ كِتَابِ اللَّهِ وَإِذْخَالُهُ مَا بِهِ مِنْ إِعْجَازٍ وَمُجَاهَدَاتِهِمْ لِهَوَى أَنْفُسِهِمْ وَتَرْبِيَةِ أَسْلَافِهِمْ فَكَانُوا الْمَثَلِ الصَّالِحِ الَّذِي يُسْتَعَدَّى بِهِ وَيَتَّبِعُهُمْ ذُنُوبُ الْإِسْلَامِ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ .

وَهَكَذَا فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ قَرْدٍ مِنَّا أَنْ يَتَحَلَّى بِأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِ.
أَوَّلًا .. وَأَنْ يَغْرِسَ هَذِهِ الْأَخْلَاقَ فِيْمَنْ يَرْعَاهُمْ مِنْ أَسْرَتِهِ أَوْ
يُعَلِّمُهُمْ مِنْ تَلَبِّتِهِ حَتَّى يَعْرِفَ غَيْرُ الْمُسْلِمِ الْعُنْوَانَ الصَّحِيحَ
الصَّادِقَ لِلْإِسْلَامِ فِي شَخْصِ الْمُسْلِمِ .. فَقَدْ انْتَشَرَ الْإِسْلَامُ فِي
جُزُرِ الْفِيلِبِينِ بِوَاسِطَةِ عَالِمِ مُسْلِمٍ هُوَ كَرِيمُ الْمُخْلُومَى إِذْ وَجَدَ
فِيهِ الْقَوْمَ رَجُلًا صَادِقًا أَمِينًا سَمَحًا لَا يَسْرِقُ وَلَا يَزْنِي وَلَا يَشْرَبُ
الْخَمْرَ وَيُؤَدِّي فَرَائِضَ رَبِّهِ فِي أَوْقَاتِهَا وَجَمَعَ كُلَّ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ
فَاعْتَنَقُوا الْإِسْلَامَ إِيْمَانًا مِنْهُمْ بِأَنَّ هَذَا الدِّينَ إِنَّمَا هُوَ سَبِيلُ
الْخُلُقِ الْحَسَنِ الْكَرِيمِ وَأَصْبَحَ فِي هَذِهِ الْجُزُرِ حَالِيًا أَكْثَرُ مِنْ
ثَلَاثَةِ مِائُونَ مُسْلِمٍ فَاصْصَبَحَ لِهَذَا الْعَالَمِ مِنَ الثَّوَابِ قَدَرٌ مَا هَدَى ..
وَأِنَّهُ لَأَجْرٌ كَبِيرٌ .. وَكَذَلِكَ انْتَشَرَ الْإِسْلَامُ فِي الْهِنْدِ وَالصِّينِ
وَالْمَلَايُو وَالْقَرْبِ عَنْ طَرِيقِ التَّجَارِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِينَ كَانَتْ
أَخْلَاقُهُمْ وَسَبِيلَةَ نَشْرِ الدَّعْوَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ . فَالْمُسْلِمُ هُوَ عُنْوَانُ دِينِهِ
وَلِذَلِكَ وَجِبَ عَلَيْنَا أَنْ نَعْتَنِيَ بِأَخْلَاقِنَا وَأَخْلَاقِ مَنْ تَقَعُ عَلَيْنَا
مَسْئُولِيَّةُ تَرْبِيَّتِهِمْ وَرِعَايَتِهِمْ حَتَّى يَكُونَ ذَلِكَ سَبِيلُ الدَّعْوَةِ إِلَى
الْإِسْلَامِ . وَمَنْ تَهَاوَنَ فِي ذَلِكَ وَلَمْ يَتَخَلَّقْ بِأَخْلَاقِ الْإِسْلَامِ
فَلَيْسَ عَلَيْهِ وَزَرٌ مَا يَرْتَكِبُهُ فَتَقَطَّ بَلْ وَعَلَيْهِ أَيْضًا حِسَابُ إِسْمَاعَتِهِ

إِلَى دِينِهِ وَمَنْعِهِ مِنَ الْإِنْتِشَارِ وَكَذَلِكَ وَزَرَ كُلُّ مَنْ تَشَبَّهَ بِهِ وَحَدَا
حَلْوَهُ .. وَعَلَيْهِ تَبَعَةٌ مَا تَكُونُ عَلَيْهِ عَائِلَتُهُ .

وَإِذَا كَانَ الْمُسْلِمُونَ الْأَوَّلُ قَدْ تَمَكَّنُوا مِنْ نَشْرِ دِينِهِمْ إِلَى
هَذَا الْحَدِّ الْكَبِيرِ وَعَلَى هَذَا النِّطاقِ الْوَاسِعِ بِمَا أَذَاعُوهُ فِي النَّاسِ مِنْ
إِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ هَذَا إِلَى أَنَّ عُسُورَهُمْ لَمْ تَعْرِفْ إِلَّا وَجْهًا
وَاحِدًا مِنْ أَوْجُهٍ إِعْجَازِهِ وَهُوَ الْوَجْهُ الْبَيَانِيُّ وَإِذَا كَانَ اتِّسَاعُ
آفَاقِ الْفِكْرِ فِي الْعَصْرِ الْحَدِيثِ وَتَقَدُّمِ الدِّرَاسَاتِ فِيهِ وَوُضُوحِ
الْإِنْسَانِ إِلَى عَالَمٍ مِنَ الْحَقَائِقِ فِي مُخْتَلَفِ قِطَاعَاتِ الْعِلْمِ قَدْ
مَكَّنَ الْإِنْسَانَ مِنْ مَعْرِفَةِ بَعْضِ مَعَانِي آيَاتِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
فَظَهَرَتْ أَوْجُهًا جَدِيدَةً لِإِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ تُنَاسِبُ هَذَا الْعَصْرَ
فَإِنَّهُ يَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَسْتَجِيبَ لِدَاعِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ
فِيَتَدَبَّرَ آيَاتِهِ وَيَتَفَكَّرَ فِيهَا تُقَرَّرُهُ عَلَى قَدْرِ مَا يَسْتَطِيعُ ، وَيُحَاوِلُ
إِظْهَارَ صُورِ الْإِعْجَازِ الْمُخْتَلَفَةِ لِآيَاتِهِ الشَّرِيفَةِ وَنَشْرِهَا عَلَى أَوْسَعِ
نِطاقٍ يَصِلُ جُهْدُهُ إِلَيْهِ وَبِكَافَةِ الْوَسَائِلِ الَّتِي يَصِلُ إِلَيْهَا ..
وَبِذَلِكَ يَنْتَشِرُ الْإِسْلَامُ انْتِشَارًا وَاسِعًا وَسَرِيعًا عَنْ طَرِيقِ أَوْجُهٍ
إِعْجَازِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الَّتِي ثَلَاثُ كُلِّ قَوْمٍ وَتَقْنَعُ كُلَّ طَائِفَةٍ
وَتُنَاسِبُ كُلَّ ثَقَافَةٍ ..

وَأَنْظِمَهُ الْإِسْلَامَ الَّتِي تَحُلُّ كَافَّةَ الْمَشَاكِلِ الَّتِي تُوْجَدُ فِي
النَّالَمِ فِي حَاجَةٍ إِلَى تَعْرِيفِ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ بِهَا .. فَإِنَّ الْبَحْثَ
وَالْعُلَمَاءَ قَدْ اعْتَرَفُوا فِي أَكْثَرِ مِنْ مُنَاسِبَةٍ أَنَّ الْإِسْلَامَ يَعْلُ أخطرَ
مَشَاكِلِ النَّالَمِ الَّتِي يُعَانِيهَا ، فَعَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ قَدَرُ اسْتِطَاعَتِهِ أَنْ
يَنْشُرَ هَذِهِ الْحَقَائِقَ وَكَيْفَ نَعَالِجُ الْإِسْلَامِ مَشَاكِلِ النَّالَمِ
الْاَقْتِصَادِيَّةِ وَالاجْتِمَاعِيَّةِ وَالسِّيَاسِيَّةِ وَأَزْهَاتِ التَّفْرِقَةِ الْعُنْصُرِيَّةِ
وَالطَّائِفِيَّةِ وَصِرَاعِ الطَّبَقَاتِ .

وَيَجِبُ عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَتَّبِعَ الْإِسْرَائِيلِيَّاتِ وَالْاَكَاذِبَ
الَّتِي يُشِيعُهَا خُصُومُ الدِّينِ وَأَعْدَاءُ الْإِسْلَامِ وَأَنْ يَنَاهِضَهَا وَيُظْهِرَ
الْحَقَّ الْوَاضِحَ الصَّحِيحَ لَهَا .

وَوَاجِبُ تَبْلِيغِ الدَّعْوَةِ الْاِسْلَامِيَّةِ إِنَّمَا تَقَعُ عَلَى عَاتِقِ كُلِّ
مُسْلِمٍ وَلَا تَخْتَصُّ بِهِ هَيْئَةٌ أَوْ جَمَاعَةٌ أَوْ أَفْرَادٌ دُونَ غَيْرِهِمْ بَلْ أَنَّهُ
أَمْرٌ تَقْرِضُهُ الْاِسْلَامُ عَلَى الْأُمَّةِ الْاِسْلَامِيَّةِ جَمِيعًا . فَكُلُّ فَرْدٍ مِنَ
الْمُسْلِمِينَ عَلَى وَجْهِ الْاِطْلَاقِ إِنَّمَا لَهُ دَوْرُهُ الْقَدِيمُ الْاِبْعَاجِيُّ فِي
تَبْلِيغِ الدَّعْوَةِ عَالَمٍ فَدَرُ اسْتِطَاعَتِهِ وَمَعْرِفَتِهِ وَإِنْكَارِيَّاتِهِ .. إِمَّا بِعَلَمِهِ
الَّذِي نَدْعُو بِهِ إِلَى الْاِسْلَامِ فَيَنْشُرُهُ وَإِمَّا بِعَالِيهِ الَّذِي يُخْرِجُ بِهِ
عَالَمٍ غَيْرِهِ دَعْوَةً لِدِينِهِ .. وَإِمَّا بِخُلُقِهِ الَّذِي يَتَحَلَّى بِهِ .. وَإِمَّا بِتَرْبِيَّتِهِ

أُسْرَتِهِ وَأَوْلَادِهِ وَتَبَصُّيرِهِمْ بِوَاجِبِهِمْ نَحْوَ دِينِهِمْ .. وَإِنَّمَا بِالتَّذَنُّقِ
فِي أُمُورِ دِينِهِ وَإِنَّمَا بِالْعَنَايَةِ رَهْلِبَتِهِ فِي مَدَارِسِهِمْ وَتَلْقِينِهِمْ وَاجِبَ
الدَّعْوَةِ .. وَإِنَّمَا بِحُسْنِ الْأَصْغَاءِ وَالِاسْتِمَاعِ إِلَى دُرُوسِ الدِّينِ
يُلْقِيهَا عَلَيْهِمْ الْمُتَفَقِّهُونَ .. وَعَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ أَنْ يَدْعُو إِلَى
الْإِسْلَامِ دَائِمًا وَأَنْ تَكُونَ دَعْوَتُهُ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَإِنْ
جَادَلَ غَيْرَهُ فَبِمَا أَحْسَنَ طَرُقِ الْجِدَالِ وَذَلِكَ اسْتِجَابَةٌ لِأَمْرِ اللَّهِ
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى إِذْ يَقُولُ :

(أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ
بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ
أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ) .

(صدق الله العظيم)

دار الشعب

٩٤ شارع قصير الحي، القاهرة
تليفون ٣١٨١٠

الثن ١٥ قرشا

4



0225635

مطبوعات الشعب	بمسند عن الشعب مؤسسة صحفية عربية	أخصائون في الطبوعات العاجلة
الإدارة: شارع قصر العيني بالقاهرة - ت. ٣١٨١٠ • مكتبة دار الشعب - ت. ٩٩٩١	الطابع والمطبع: ت. ٣١٨١٠ - ٣١٨١٠ - ٣١٨١٠	رئيس التحرير: دكتور ط
التوزيع: مكتبة دار الشعب	د. الطاهر - ت. ٨١١٨٠	

رقم الايداع ٥٨٥٤ / ١٩٧٠